مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٣٩)

البيان والتسديد
بشرح
الأربعين في دلائل التوحيد

لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي رحمه الله

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي



مركز الراجحي للدراسات و الإستشارات

البيان والتسديد

بشرح

الأربعين في دلائل التوحيد

ح مركز عبدالعزيز الراجحي للإستشارات والدراسات، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الراجحي، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن

البيان والتسديد بشرح الأربعين في دلائل التوحيد. / عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن الراجحي - الرياض، ١٤٣٨ هـ.

١٨٤ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٦-٤-٩٠٩٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٨/٩٨٤٨

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٩٨٤٨

ردمك: ٦-٤-٩٠٩٤٧-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

تمّ الصّف والإخراج

بمركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية



+966 555448475

+966 535600668

0114455995 / Fax : Ext.108

info@mnaratt.com

المملكة العربية السعودية
الرياض
حي الربوة - مخرج 15
شارع ثنيان بن مقرن مبنى رقم 12
ص.ب. 60558
الرمز البريدي 11555

http://shrajhi.com.sa/

@AlSheikhAlRajhi

@shrajhi

abdulaziz-alrajhi



مجموعة مؤلفات ورسائل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٣٩)

البيان والتسديد
بشرح
الأربعين في دلائل التوحيد

لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي رحمه الله

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي



بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنَّ هذه الرسالة المسماة «الأربعون في دلائل التوحيد» لأبي إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي بن جعفر المنصور الأنصاري الهروي، الذي كان مولده في سنة ست وتسعين وثلاثمائة، ووفاته في سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وعمره أربع وثمانون سنة وستة أشهر، وهو من علماء الحنابلة في القرن الرابع والخامس الهجري، وله شيوخ كثيرون متعددون ذكرهم المترجمون لهذا العالم، وله تلاميذ كثيرون، ويلقب بـ(شيخ الإسلام الأنصاري)، وقد كان له عناية بالحديث، ولذلك يجد الناظر لهذه الرسالة أنَّ الأحاديث كلها يرويها المؤلف بالأسانيد، فهو أثري[1].

وقد ذكر الذهبي كَلَّلهُ أن الأحاديث الذي ذكرها بالأسانيد كلها صحاح وحسان، ما عدا بعض الأحاديث التي ذكرها في كتابه (الفاروق)[2]، والمؤلف أبو إسماعيل الأنصاري الهروي الملقب بشيخ الإسلام كان قويا في الحق آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر،

---

(١) انظر: في ترجمته: «الأنساب» (١/ ٣٦٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٥٠٣)، و«التذكرة» (٣/ ١١٨٣).
وقد سُئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز كَلَّلهُ عن حكم التسمي بالأثري فقال: «لا أعلم حرجاً في ذلك.. إذا كان صادقا» فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٣٧-١٣٨).

(٢) انظر: «السير» (١٨/ ٥١٠).

وكان شديد الإثبات للأسماء والصفات وشديدا على من عارض ذلك فهو يثبت الأسماء والصفات لله ﷻ، ويستدل بالأحاديث والآيات القرآنية ويشتد على من نفى الأسماء والصفات لله ﷻ؛ حتى إن أعدائه من المبتدعة المعطلة الذين عطلوا الأسماء والصفات تألبوا عليه؛ وحاولوا قتله مرات وسعوا إلى السلطان فلم يفلحوا ولا يبالي وكان يطلب منه أن يسكت عن الرد على المخالفين ولكنه يأبى هذا موقفه من الأسماء والصفات، فهو من أهل السنة والجماعة في هذا الباب في باب الأسماء والصفات، وكان قويا في الحق ثابتا عنده رباطة جأش ولا يبالي بالأعداء حتى لوأدى هذا إلى قتله فهو صامد.

وله عدة مؤلفات، منها:

١- ذم الكلام.

٢- منازل السائرين.

٣- الأربعون في السنة.

٤- الفاروق في الصفات.

٥- الأربعون في التوحيد،وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

والكتاب الذي ألفه في باب السلوك سماه «منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين» والمراد بالسائرين: الذين يسيرون إلى الله في العبادة، والمراد بـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] نخصك يا الله بالعبادة، ونستعين بك، فجمع بين العبادة والتوكل،لكن غلب عليه التصوف في هذا الباب أي في باب العبادة، وصار يتكلم بكلمات الصوفية واصطلاحاتهم وإشاراتهم، ويتكلم عن المحووالفناء والغيبة والشهود، وقد شرح ابن القيم هذا الكتاب «منازل السائرين» في كتابه المشهور المسمى: «مدارج السالكين»، وتعقب أبا إسماعيل

الهروي في تصوفه، وحمل كلامه على أحسن المحامل، ويفلح أحيانا ولا يفلح أحيانا أخرى، وفي أحيان يرد عليه ويقول: شيخ الإسلام حبيب إلينا ولكن الحق أحب إلينا منه، واعتذار الإمام ابن القيم لموقفه في الأسماء والصفات، ووقوفه أمام أهل البدع، لكنه مع الأسف لما جاء في باب السلوك وافق أهل البدع في التعطيل، تعطيلا آخر غير تعطيل أهل البدع، أهل البدع عطلوا الله من أسمائه وصفاته والصوفية عطلوا عبادته، فلما جاء في باب السلوك وقع في تعطيل يوازن تعطيل أهل البدع في الأسماء والصفات.

ويقسم الصوفيةُ الناسَ إلى ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: العامة عندهم ـ عند الصوفية ـ هم المسلمون، ومنهم الأنبياء والرسل يسمونهم: عامة، وعليهم التكاليف، ويسمونهم أهل الشريعة، ولهم تكاليف وأوامر ونواهي ويتعبدون لله خوفا ورجاءً وتوكلاً.

الطبقة الثانية: الخاصة الذين تجاوزا المرتبة العامة، ويسمونهم أهل الحقيقة، وهم الذين ينظرون بزعمهم إلى الله، ويشهدون الله ﷻ ويتناسون ما سواه من المخلوقات، وهذه يسمونها الغيبة؛ وذلك من شدة تعلقهم بالله بزعمهم أنهم يشهدون ربهم ﷻ ولا يشهدون ما سواه من المخلوقات، يقول أحدهم: أنا لا أستطيع أن أنظر إلى السماوات والأرضيين والآدميين، فهذا يشوش علي؛ لأني أركز شهودي على الله ﷻ، وما سواه فأنا أغيب عنها كأنها غير موجودة؛ لأنها تشوش علي عبادتي، فهذه الطريقة المتوسطة للصوفية يسمونها طريقة الغيبة، يقول أحدهم: يغيب بمشهوده عن شهوده وبمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده، فيغيب عنده غيبة حتى تقوى شدة الغيبة عند بعضهم، تقوى شدة الغيبة عند بعضهم إلى

أن يظن أنه هومعبوده، ويكون متعلقا به أشد التعلق حتى ينسى نفسه، ويظن أنه هو، ولما غاب أحدهم بمحبوبه، واشتد تعلقه به وغيبته عما سواه، صار مرتبطا به كأنه مغناطيس، فلما سقط محبوبه في الماء سقط خلفه في الماء، فقال له: ما الذي أسقطك معي؟ قال: غبت بك عني فظننت أنك أني!

ويسبب هذه الغيبة عطلوا عبادة الله وصار الواحد منهم همُّه الغيبة بمعبوده حتى ينسى العبادة، وهذه الطريقة المتوسطة.

فهذه الطبقة تصل الحال بأحدهم إلى أنه إذا ألغى صفاته وجعلها صفات لله، وعلم أنَّ ما قدر له سيكون، فإنه يعتقد سقوط التكاليف عنه، وهذا أمر خطير؛ لأنَّ من قال أنَّ أحداً يسقط عنه التكليف وعقله ثابت معه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا.

الطبقة الثالثة: خاصة الخاصة، وهم الذين يقولون بالمحو، أي: محو ما سوى الله، بمعنى أنهم ينكرون ما سوى الله، فكل ما تراه هوالله، كما يقول ابن عربي ـ رئيس وحدة الوجود ـ[1]:

العبدُ ربٌّ والربُّ عبدٌ ... يا ليت شعري من المكلف
إن قلتَ عبدٌ فذاكَ حقٌّ ... أوقلتَ ربٌّ أنّى يكلف[2]

---

(١) ابن عربي: هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي فيلسوف صوفي من أئمة المتكلمين ولد بمرسية سنة (٥٦٠هـ)، وانتقل إلى اشبيلية سنة (٥٧٨هـ) وأنكر عليه أهل مصر آراءه في وحدة الوجود، فحاول بعضهم إراقة دمه كما أريق دم سلفه الحلاج وأشباهه، فحُبس لذلك، وسعى في خلاصه علي بن فتح البجاوي، فنجا ولحق بدمشق حيث أقام بها بقية عمره، توفي سنة (٦٣٨هـ)، وترك مؤلفات كثيرة أوصلها الزركلي إلى نحو أربعمائة كتاب ورسالة أشهرها: (الفتوحات المكية - فصوص الحكم). يُنظر في ترجمته: ميزان الاعتدال (٣/ ٦٥٩)، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨)، لسان الميزان (٥/ ٣١١)، الأعلام (٦/ ٢٨١).

(٢) «الفتوحات المكية»، (ص٤٣).

فيلتبس عليه الأمر فما يدري أهذا العبد أم الرب، فإن قلت عبد فهذا يموت وإن قلت رب فكيف يكلف.

ويقول ابن سبعين[١]: «رب مالك وعبد هالك، ووهم حالك، وحق سالك، وأنتم ذلك»[٢].

فهؤلاء وصلوا إلى القول بوحدة الوجود وهذا أظلم الكفر وأعظم الكفر؛ لأنه يعتقد بأن العبد هو الرب والرب هوالعبد.

وخاصة الخاصة هؤلاء يسمون أنفسهم: أهل التحقيق، وتسقط عنهم التكاليف، إذا ألغى الواحد منهم صفاته وجعلها صفات الله سقطت التكاليف، حتى لو فعل الزنا لا يكون عنده معصية[٣].

---

(١) ابن سبعين: هو عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الأشبيلي المرسي، أحد الفلاسفة المتصوفة القائلين بوحدة الوجود ولد سنة ٦١٤هـ، ودرس العربية والآداب في الأندلس وبرع في العلوم العقلية والفلسفية، مات سنة ٦٦٩هـ، خلف عدداً من الكتب أشهرها (البُد) أي ما لا بد للعارف منه والرسائل. يُنظر في ترجمته: العبر (٣/ ٣٢٠)، العقد الثمين (٥/ ٣٢٦-٣٣٥)، لسان الميزان (٣/ ٣٩٢)، الأعلام (٣/ ٢٨٠).

(٢) «رسائل ابن سبعين»، (ص١٩٣).

(٣) لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي، فقيل: إنه نسبة إلى أهل الصفة، وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل صُفّي، وقيل نسبة إلى الصف المقدم في الصلاة بين يدي الله، وهو أيضاً غلط ؛ فإنه لو كان كذلك لقيل: صفي وقيل: نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو غلط، فإنه لو كان كذلك لقيل: صفوي، وقيل نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد، قبيلة من العرب، يُنسب إليهم النساك، وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ، فإنه ضعيف أيضاً ؛ لأن هؤلاء غير مشهورين، ولا معروفين عند أكثر النساك، وقيل وهو المعروف : أنه نسبة إلى لبس الصوف.

وأول ما ظهرت الصوفية في البصرة، وكان في البصرة المبالغة في الزهد والعبادة، والخوف ونحوذلك، ما لم يكن في سائر أهل الأمصار وفيهم السابق =

فأبو إسماعيل الهروي سلك المسلك الوسط من مسالك الصوفية، وقد قال كلامًا خطيرًا جره إليه أهل وحدة الوجود، فقال في الأبيات المعروفة:

مَا وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ ... إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدُ
تَوْحِيدُ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ ... عَارِيَّةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ
تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ ... وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لَاحِدُ[(١)]

والشارح ابن القيم يعتذر له، بأنه قد غلب عليه الشهود، وأنه ليس مقصوده القول بوحدة الوجود، كل من يتكلم عن الله وينعته يقول هذه عارية أبطلها الله، فوحدة الله أبطلت هذا، وتوحيده الحقيقي هو توحيد نفسه بنفسه؛ لأنه لا يوجد غيره عند الاتحادية، وكل من يتكلم عنه وينعته فهو ملحد؛ لأنَّ الاتحادية عندهم أنَّ من يقول: أنَّ هناك رب وعبد فهذا ملحد، والموحد من يقول عن الوجود أنه واحد.

فهذه الأبيات الثلاثة جره إليها الاتحادية، وقال ابن القيم: «أقسموا بالله جهد أيمانهم إنه منهم، وما هو منهم»[(٢)].

وقد نقل ابن القيم رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه قال

= والمقتصد والظالم لنفسه، كما انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة كالحلاج، وقد صارت الصوفية ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق وصوفية الأرزاق وصوفية الرسم. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج١١/ ٥ -٢٣)، والاستقامة لابن تيمية (١/ ٨١) وما بعدها، وتلبيس ابليس لابن الجوزي (ص١٦١)، والتعرف لمذهب التصوف للكلاباذي (ص٢٨-٣٥)، الرسالة القشيرية (٢/ ٥٥٠-٥٥١).

(١) «منازل السائرين» للهروي (ص ٤٣).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ١٤٨).

عن الإمام الهروي رحمه الله: «عمله خير من علمه»[١].

والمقصود أخذ نبذة عن المؤلف، فيُذكر ماله وما عليه، والله يعفو عنا وعنه، وقد يكون هذا من غلبة السلوك والتأثير عليه فأثر عليه الفناء والشهود والمحو واصطلاحات الصوفية وإشاراتها، وإن كان قصده حسنا ـ نسأل الله أن يعفو عنا وعنه ـ

أما هذه الرسالة «الأربعون في دلائل التوحيد» فهي في باب الأسماء والصفات وليست في باب السلوك، وقد رتبها المؤلف على أبواب، فذكر اثنين وأربعين بابا، وكل باب مُعنون، ثم يروي الحديث بالسند.

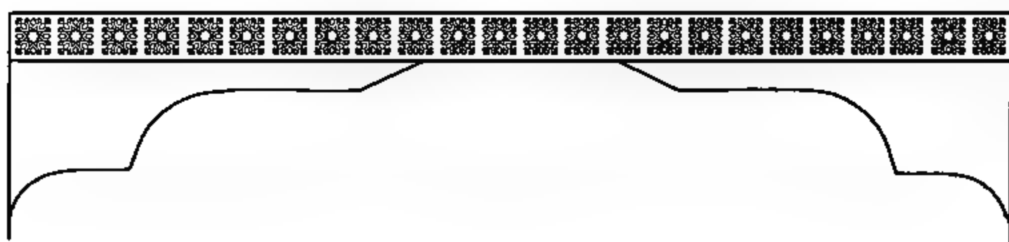
والكتاب من رواية أبي نصر أحمد بن عمر بن محمد بن عبدالله ابن محمد بن علي بن إسحاق[٢].

وقد ذكر بعض من ترجم لأبي إسماعيل الهروي أن له كتاب «الأربعون في التوحيد» ذكر ذلك منهم: الذهبي، وحاجي بن خليفة[٣]، وكذلك تلاميذه يروون عنه هذه الرسالة بالسند.

أسأل الله أن يثبتنا على دينه، وأن يتوفانا على الإسلام غير مبدلين، وأن يجزي المؤلف خير الجزاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه
عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٩٤).
(٢) تم إثبات نسخة المتن من الطبعة التي خرجته بتحقيق د/ علي بن محمد الفقيهي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
(٣) انظر: «تذكرة الحفاظ»، (٣/ ٢٤٩)، و«كشف الظنون»، (١/ ٥٦).



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

قال: حَدثنَا الشيخ الإمَام شيخ الإسْلام سراج السّنة أَبُونصر أَحْمد بْن عمر بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ بن مُحَمَّد بن عَليّ بن إِسْحَاق فِيمَا قَرَأتُ عَلَيْهِ حَدثنَا الشيخ الإمَام نَاصِر السّنة إِمَام الأَئِمَّة أَبُو إِسْمَاعِيلَ عَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّد بن عَليّ الأَنْصَارِيّ ﷺ وقَالَ:



الشَّرْح

هذا سند الرسالة، فالذي يسبق المؤلف من تلاميذه وهو شيخ الإسلام سراج السنة أبو نصر أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن إسحاق ـ وهو الذي روي الكتاب من طريقه ـ يقول فيما قرأته عليه أنه قال: حدثنا الشيخ الإمام ناصر السنة إمام الأئمة أبو إسماعيل الهروي ـ المؤلف ﷺ ـ.

❖ ❖ ❖

(١) بَابُ الإِيجَابِ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ فِي كُلِّ عَمَلٍ

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّرَّازِيُّ بِنَيْسَابُورَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَسْنَوَيْهِ الْمقري ثنا أَبُوجَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْفَضْلِ الْعَسْقَلَانِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ سَلَّامٍ بِدِمَشْقَ قالا ثنا مَرْوَان ابن مُعَاوِيَة الْفَزارِيّ ثنا يحي بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لكل امرئ مَا نَوَى»[1].

الشَّرْح

○ قوله: «بَابُ الإِيجَابِ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ» لعل (ال) في الإيجاب زائدة، وأن العبارة هكذا: «بَابُ إِيجَابِ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ فِي كُلِّ عَمَلٍ» فهذا الباب معقود لبيان وجوب النية.

○ قوله: «النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ» فالنية الكاذبة لا تنفع، ويكون الإنسان صادقًا مع الله في كل عمل في عقيدته، وإيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وذلك على الوجوب، بخلاف المنافق الكاذب في نيته، فالمنافقون يخادعون الله وهو خادعهم فهم كاذبون ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١]

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١)، ومسلم، كتاب الإمارة، (١٩٠٧).

كاذبون في أي شيء؟

• **الجواب**: كاذبون في اعتقادهم، وفي إقرارهم يقرون كذباً بألسنتهم وقلوبهم واعتقادهم ونياتهم تخالف ما نطقت به ألسنتهم فهم كاذبون فهم يشهدون أن محمدًا رسول الله نطقاً أمامه، وفي اعتقادهم ونياتهم ينكرون، فهم لم يأتوا بالنية الصادقة، وهم المنافقون فيكونون كفاراً.

وإنما يكون الإنسان مسلمًا إذا أتى بالنية الصادقة فكان اعتقاده يوافق عمله، والباطن يوافق الظاهر، فإذا اختلف الظاهر مع الباطن فصار ظاهر الإنسان وعمله إظهار الحق وباطنه خلاف ذلك، هذا هو فعل المنافقين، وإذا كان هذا في الاعتقاد يكون هذا في الدرك الأسفل من النار، ولهذا لما جاء جبرائيل للنبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يعرفه أحد، فجاء إلى النبي ﷺ، وسبب هذا أن النبي ﷺ قال سلوني سلوني، فلم يسألوه فأرسل الله جبرائيل يسأل في صورة السائل وهو يريد أن يُعلّم، فقد روى الإمامُ مسلم عن عمرَ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ**

الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[١].

فالإسلام فسّره النبي ﷺ بالأعمال الظاهرة الشهادتان، والصلاة والزكاة والصوم والحج.

والإيمان فسّره بالأمور الباطنة اعتقاد الإيمان بالله والإيمان بالملائكة وبالكتب والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر.

فمن أتى بأركان الإيمان الباطنة وأركان الإسلام الظاهرة فهذا هو المسلم ظاهرًا وباطنًا، ومن أتى بأركان الإسلام الظاهرة ولم يأت بأركان الإيمان الباطنة فهذا منافق فيكون في الدرك الأسفل من النار، ومن أتى بأركان الإيمان الباطنة ولم يأت بأركان الإسلام الظاهرة فهذا إذا امتنع عن الشهادتين قتل ولوكان مؤمنًا بالباطن فأمره إلى الله لا بد من التوافق في الباطن والظاهر.

فالنية الصادقة لا بد منها في صحة إسلام وإيمان العبد، في العقيدة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وهكذا في كل عمل لابد من الإتيان بالنية الصادقة.

○ قوله: «النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ» تقابلها: النية الكاذبة، فنية المنافق كاذبة ونية المسلم صادقة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، رقم (٨).

○ قوله: «**ثنا يحي بْنُ سَعِيد**» أي: حدثنا يحيى بن سعيد هو الأنصاري «**عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ**» هو علقمة بن وقاص الليثي «**قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لكل امرئ مَا نَوَى»**» الحديث رواه البخاري ومسلم من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة عن عمر ﷺ.

وهذا الحديث من أصح الأحاديث وهو فرد غريب، فإنه في أوله لم يروه عن النبي ﷺ إلا عمر ﷺ، ولم يروه عن عمر إلا علقمة بن وقاص الليثي، ولم يروه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمي، ولم يروه عن محمد بن إبراهيم إلا يحيى بن سعيد الأنصاري، ثم انتشر الحديث ورواه المئات، فهذا يسمى غريب، وفرد والمراد به: ما رواه فرد عن فرد.

وهل الغريب ضعيف؟

• **الجواب**: لا يلزم أن يكون ضعيفاً، فهذا غريب وهو من أصح الأحاديث، والغرابة تختلف، فإذا كانت الغرابة في أول السند فلا تضر في الطبقات الأولى أما إذا كانت الغرابة في الطبقات المتأخرة فهي تضر، ولهذا يتوقف العلماء في الغرائب والفرائد، ولهذا يقول المحدثون: حديث فرد، تفرد به فلان إذا تفرد به عن أحد التلاميذ عن شيخ فهذا يعتبر قدح.

والمقصود أن هذا الحديث وإن كان غريباً فهو من أصح الأحاديث، وهذا الحديث حديث عظيم يدخل في كل عمل كما قال المؤلف ﷺ حتى قال بعض أهل العلم: أنه ربع الدين، وقال بعضهم: أنه نصف الدين؛ لأنه يتعلق بالأعمال الباطنة، وحديث:

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» هذا النصف الآخر؛ لأنه يتعلق بالأعمال الظاهرة، وقال العلماء: إن الدين يدور على أحاديث أربع أو ثلاثة هذا الحديث **«إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّةِ»** وحديث: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**، وحديث: **«الحلال بين والحرام بين»**[1] وبعضهم زاد بعض الأحاديث.

وفي الحديث: دليل على الإخلاص وأن العمل لا يصح إلا إذا كان خالصًا لله مرادًا به وجه الله والدار الآخرة، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن مقتضى شهادة لا إله إلا الله: أن لا يعبد إلا الله، كما أن حديث عائشة: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[2] هو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله، وهو: المتابعة للنبي ﷺ، وإذا تخلَّفت المتابعة حلَّ محلها البدع كما أنه إذا تخلَّف الإخلاص حل محله الشرك.

○ قوله: **«إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّةِ»**: **«إِنَّمَا»** أداة حصر، **«إِنَّمَا الْأَعْمَال»** أي: إنما تكون الأعمال صحيحة ومقبولة عند الله بالنيات مع الأصل الثاني وهو أن تكون هذه الأعمال وهذه العبادات موافقة لشريعة الله.

والمؤلف رحمه الله سمَّى هذا الكتاب: **«الأربعون في دلائل التوحيد»**

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «واتفق عبدالرحمن بن مهدي، والشافعي فيما نقله البويطي، وأحمد، وابن المديني، وأبوداود، والترمذي، والدارقطني، وحمزة الكناني، على أنه - أي حديث عمر - ثلث الإسلام، ومنهم من قال ربعه، واختلفوا في تعيين الباقي.» فتح الباري (١/١٧).

(٢) أخرجه البخاري، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧) ومسلم، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

فما مناسبة هذا الحديث لدلائل التوحيد؟ وكذلك الإمام البخاري رحمه الله افتتح كتابه الصحيح الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله بهذا الحديث، والإمام النووي رحمه الله افتتح كتابيه «الأربعين النووية»، و«رياض الصالحين» به، والعلماء كثير ما يفتتحون كتبهم بهذا الحديث... لماذا ؟

قال العلماء: ليبيّن أنه لابد لطالب العلم أن يخلص نيته، ويبيِّن أنه إنما ألَّف هذا المؤلَّف العظيم ابتغاء وجه الله، ولنفع عباد الله، ولينبه المسلم وطالب العلم على أنه لابد من إصلاح النية.

ثم إنَّ إصلاح النية من أصعب الأمور كما قرر العلماء، وقال بعض السلف: إني أجاهد نفسي على الإخلاص فإذا دفعت الوساوس والخواطر من طريق تنبت في طريق آخر، ولكن المسلم مأمور بالجهاد والمجاهد موعود بالهداية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦]، فعلينا جميعًا نحن المنتسبون إلى العلم أن نجاهد أنفسنا في إصلاح النية، وأن يكون طلبنا للعلم - سواء في الجامعات، أو في المعاهد العلمية الشرعية، أو في المساجد - القصد منه وجهَ الله والدارَ الآخرة، فيكون القصد بذلك التقرب إلى الله، والتعبد له. فإن طلب العلم من أفضل القربات وأجل الطاعات، فأصلح النية لتكن نيتك صادقة حتى يوفقك الله، والعلم فضله عظيم و«**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سلك الله له به طريقًا إلى الجنة**»[(١)] كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، والعلماء

---
(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم (٢٦٩٩).

ورثة الأنبياء، والعلم قربة وطاعة، والقربة والطاعة لابد فيها من النية الصادقة والإخلاص حتى تصح هذه القربة، وتكون مقبولة عند الله، وهذا هوالسر في افتتاح المؤلف وغيره كتبهم بهذا الحديث.

❁ فائدة:

الكتاب في إثبات الأسماء والصفات ومع ذلك افتتح المؤلف رحمه الله كتابه بهذا الحديث: «**إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّةِ**» وأنت تطلب العلم أصلح نيتك حتى يوفقك الله ويرزقك العلم، فالعلم رزق يرزقه الله من يشاء من عباده، ولهذا لما حصلت فتنة في صفوف المحدثين وامتحن الإمام البخاري رحمه الله لِما نشرَ اللهُ له من الصيت وهَجَره بعض الناس ورموه بأنه مجسّم حتى هَجَره بعض أهل الحديث وقالوا: إن من حضر مجلس البخاري فهو مثله فاتركوه أوكذا وذلك لتعلقهم بشبهة بكلام مجمل قاله الإمام أحمد رحمه الله قال: «**من قال لفظي للقران مخلوق فهو جهمي ومن قال لفظي بالقران غير مخلوق فهومبتدع**»[1] والإمام أحمد رحمه الله أراد سد الباب، والإمام البخاري رحمه الله فصّل وميّز، وقال: كلام الله منزل وغير مخلوق، أما أفعال العباد وحركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم فإنها مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصحف المسطور المكتوب، الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بخلق[2]، فحصلت فتنة في صفوف المحدثين وظنوا أن الإمام البخاري يخالف الإمام أحمد، وحاشا لله فالإمامان متفقان، وكلٌ منهما إمام من أئمة أهل السنة والجماعة؛ لكن البخاري ميَّز وفصَّل بين ما يقوم بالعبد وما يقوم

(١) «الشريعة» للآجري (ص٥٣٥)، و«السنة» لعبدالله بن أحمد (ص١٦٥).
(٢) «خلق أفعال العباد» (ص٤٧).

بالرب، والإمام أحمد أتى بكلام مجمل لسد الذريعة[١]، فتعلق به بعض الناس وحصلت لهم شبهة نشأت من القول المجمل مع الحسد الذي حصل للإمام البخاري حتى هُجر الإمام البخاري وبُدِّع، ولما قيل له: إن فلانًا يقول: لا تحضروا مجلس البخاري فإن من حضر مجلسه فهوعلى مذهبه، فقال الإمام البخاري: «كم يعتري فلانًا الحسد والعلم رزق يرزقه الله من يشاء من عباده»[٢] وهذا هو الشاهد، العلم رزق ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت ١٧] العلم رزق يرزقه الله من يشاء من عباده، انظروا إلى العلماء الآن تجدون العلماء أو التلاميذ يجلسون في حلقة واحدة ويدرسون على شيخ واحد أوعلى عدد من المشايخ ثم بعد سنين يبرز بعض التلاميذ ويكون إمامًا وعالمًا وفاضلاً وزملاؤه ما حصلوا مثله من العلم، فيبرز هذا الإمام فيرزقه الله العلم ويكون مرجعًا للناس فيما يحتاجون إليه ويسألونه عن كل شيء وبعض زملائه من التلاميذ لم يحصلوا على شيء من العلم حتى إنهم يرجعون إليه وهذا مُشاهد في عصرنا هذا وفي غيره.

فالعلم رزقٌ يرزقه الله لعباده،ليس كل من جلس وطلب العلم يحصل على العلم، والناس يتفاوتون فتجدهم يجلسون أمام بعض أهل العلم، ومنهم من يرزقه الله كذا من العلم يحصل على بعض الفوائد، ومنهم من يحصل في المجلس الواحد على فائدة واحدة ما يعلق في ذهنه غيرها، ومنهم من يعلق في ذهنه عشر فوائد، ومنهم

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٧٢)، (١٦/ ٣٩٢)، و«شفاء العليل» (ص١١٠)، و«مختصر الصواعق» المرسلة (ص٥٠٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٥٧).

عشرون فائدة، ومنهم أربعون فائدة، ومنهم من يقيده ويستفيد ويبقى معه، ومنهم من يهمله، ومنهم من يصاب بشرود الذهن.

فعلى طالب العلم أن يأخذ بالأسباب وأن يتضرع إلى الله ﷻ، وأن يعالج قلبه لتكون نيته صادقة، وجزى الله المؤلف خيرًا على افتتاحه هذه الرسالة بهذا الحديث العظيم الذي يذكرنا نحن المنتسبون إلى العلم بوجوب النية الصادقة في طلبنا للعلم، وفي تعلمنا، وتعليمنا، وكل أعمالنا، وفي كل ما نأتي، ونذر، فرحم الله أهل العلم، ورحم الله علماءنا، ووفقنا لمتابعتهم في الخير، ووفقنا للنية الصادقة، والعمل الصالح، وجعلنا من أهل العلم، والبصيرة إنه على كل شيء قدير.



(٢) بَابُ إِيجَابِ النَّصِيحَةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ

أخبرنَا مُحَمَّد بن عَلِيّ ناأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَاسِينَ ثنا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيّ ومعاذ بْنِ مُعَاذ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ الضَّبِّيُّ قَالُوا مُسَدّد ثنا يحيى بْنُ سَعِيدٍ نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أبي خَالِد ح وأنبا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْفَضْلِ الصَّيْرَفِيُّ ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ ثنا الرَّبِيعُ ثنا أَسَدُ بْنُ مُوسَى ثنا يَزِيدُ بْنُ عَطاء عَنْ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ عَن جرير بْن عَبْدِاللهِ ﷺ قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[(١)].

الشَّرْح

ذكر المؤلف ﷺ في هذا الباب وجوب النصيحة لكل مسلم في العمل الذي يتعلق بالناس وحقوقهم، وذكر بالسند لأن المؤلف أثري، وقوله «ح»: تعني تحوّل في الإسناد من إسناد إلى إسناد.

○ قوله: **«عَن جرير بْن عَبْدِاللهِ ﷺ قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ»** هذا الحديث يرويه جرير بن عبدالله البجلي ﷺ، وهو من أصح الأحاديث، رواه البخاري ومسلم، وهذه بيعة خاصة؛ لأن البيعة تكون عامة لعموم المسلمين وتكون خاصة،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة (٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان (٥٦).

فالنبي ﷺ له عدة بيعات.

« قوله: «إِقَامِ الصَّلَاةِ» لم يقل: بايعت رسول الله على فعل الصلاة أو اتيان الصلاة، قال: على إقام الصلاة، وإقام الصلاة غير فعل الصلاة، فالمقيم للصلاة هو الذي يؤديها بحقوقها بأركانها، وشروطها، وخشوعها، ووضوئها، ونيتها، ووقتها، بخلاف المصلي فإن المصلي كثير والمقيم للصلاة قليل، فليس كل مصلٍّ مقيمًا للصلاة، كما أن الركب إلى بيت الله في وقت الحج كثير والحج قليل، فالذين يركبون من الحجاج عددهم كثير والحجَّاج قليل، والمصلي هو الذي يأتي بالصلاة الصورية ركوع وسجود ويأتي بالأركان الظاهرة هذا مصلي، لكن مقيم الصلاة هو الذي عنده النية الخالصة، الذي يؤدي الأركان، ويؤدي الواجبات، والذي يحضر قلبه، ويتابع الإمام، والذي يؤديها في وقتها، كل هذا داخل في الإقامة، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة في الثناء والمدح للذين يقيمون الصلاة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣]، بخلاف فعل الصلاة فإن الإنسان يفعل الصلاة الصورية ولكن قد لا يقيمها وقد يصلي الإنسان ولكنه لا يقيم الصلاة ولهذا جاء الوعيد الشديد على من صلى وسهى عن صلاته، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون ٤ ٥]، ولهذا البيعة ليست على فعل الصلاة بل على إقام الصلاة.

« قوله: «وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» الإيتاء: هو الإعطاء، أي: إعطاء الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس وطواعية واختيار، والزكاة: جزء من المال يدفعه المسلم وهي حق واجب في مال مخصوص لطائفة

مخصوصة في وقت مخصوص، فيؤدي الزكاة المسلم عن طواعية، واختيار، وإيمان صادق، وعن رغبة، ورهبة، ويحاسب نفسه محاسبة الشريك الشحيح حتى يخرج هذه الزكاة عن طواعية، واختيار ويعتقد، ويعلم أنه هو الرابح، وأن الزكاة غنيمة، وليست غرامة فأنت تغنم وتربح على ربك أعظم الربح، لا يؤديها وهو متبرم، ولا متكره، ولا مستثقل، ولا معتقدًا أنها غرامة بل هي غنيمة، فيؤدي الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس.

○ قوله: «**وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» أي: بيعة على النصح لكل مسلم، بأن تنصح لكل مسلم وتحب له ما تحب لنفسك، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[١] فتحب له الخير، وتكره له الشر ومن ذلك أنك تنصح له في تعلم العلم، وتعليمه، وهذا هو مناسبة هذا الحديث لدلائل التوحيد، والعلم قال الله وقال رسوله وقال الصحابة، والعلم ثلاثة أنواع: علم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلم بالأمر والنهي الذي هو دينه، وعلم بالجزاء، وهذه الرسالة علم بالله وأسمائه وصفاته؛ فمن النصح للمتعلم أن ترشده إلى العلم، وتحظه عليه، وترشده إلى الوسائل، والطرق المؤدية إلى العلم، وترشده إلى العلماء أهل البصيرة، وأهل العلم الذين يستفيد منهم، وتكون النصيحة من المتعلم لمعلمه بالأخذ عنه، والتأدب بالآداب الشرعية، ومحبته، والدعاء له، وسؤاله عما أشكل عليه، وتقييد العلم الذي استفاده منه ونشره، والدعاء لكل من استفاد منه

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم(١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٤٥).

كل هذا من النصح.

والنصح لكل مسلم هو الشاهد لدلائل التوحيد كالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أتى بهذا الحديث؛ لأن التعلم والتعليم داخل في النصح للمسلم بالتعلم، والتعليم، وإثبات الأسماء والصفات لله علم، من أجل العلوم وأفضلها.

فمن النصح للمسلم أن تعلمه وأن يتفقه في أسماء الله وصفاته ومن النصح من المتعلم للمعلم محبة العالم والأخذ عنه ونشر علمه والاستفادة منه والسؤال عما أشكل عليك واختيار المعلم الذي تستفيد منه وبهذا يتبين مناسبة هذا الحديث لدلائل التوحيد.



(٣) بَابُ تَعْظِيمِ الإثمِ عَلَى كَاتِمِ الْعِلْمِ

قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الْأَدِيبُ بِنَيْسَابُورَ لَفْظًا قال حدثنا الْأَصَمُّ قال حدثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ الْبَصْرِيّ قال: حدثَنَا إدريس بن يحيى بْنِ عَبَّاسٍ ح وقال: أخبرنا مَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْمُفَسِّرُ بِنَيْسَابُورَ قال: حدثَنَا الْأَصَمُّ قال: أخبرنا ابْنُ عَبْدِالْحَكَمِ قال حدثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُاللهِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[(١)].

الشَّرْح

كتم العلم إثمه عظيم، فكما أن الإثم يحصل للإنسان إذا فعل معصية ـ سواء بارتكاب محرم، أو ترك واجب ـ مع أن بعض الواجبات أوبعض المحرمات يعظُم الإثم بها أكثر من غيرها؛ لشدة تأثيره، فكذلك كلما كان أثر الإثم بالغًا، فإنه يعظم.

والمؤلف رحمه الله قرر أنَّ كاتم العلم إثمه عظيم؛ لأنه يمنع فضل الله الذي آتاه عن عباد الله، والله سبحانه أرسل رسله، وأنزل كتبه، وبيَّن للناس الطريق الموصل إليه، وبيَّن لهم طريق الحق، ونهاهم

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن، رقم (٢٦٤٩)، وأبو داود، رقم (٣٦٥٨)، وأخرجه ابن ماجه، رقم (٢٦١)، والحديث حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (١/ ٢٩٨).

عن طرق الغواية والضلالة قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهذا الكاتم يكتم العلم الذي يكون سببًا في وصولهم إلى الله ﷻ وفي نجاتهم وسعادتهم، فهو يمنع فضلاً أنزله الله على عباده، ويحجب أمرًا أنزله الله في كتابه، وبعث به رسوله ﷺ، فلذلك صار إثمه عظيم.

◌ قوله: «**عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو** رضي الله عنه **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **قَالَ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»** ذكر المؤلف هذا الحديث، وفيه تحويل بالإسناد، وهو برواية عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما وهو ضعيف، وفي سنده عبدالله بن عيّاش، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، فقال: سألت أبي عنه فقال: ليس بالمتين صدوق يُكتب حديثه، وهو قريب من ابن لهيعة[١]، وابن لهيعة ضعيف واحترقت كتبه.

والحديث وإن كان ضعيفاً فإن معناه صحيح تشهد له النصوص القرآنية، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩]، هذا جزاء الكاتمين، وهذه عقوبة الكاتمين. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٦٠]، بيَّنوا: أي بيَّنوا ما كتموا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا

(١) «الجرح والتعديل»، لابن أبي حاتم (٥/ ١٢٦).

يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧] ميثاق غليظ أخذ على أهل الكتاب أن يبيِّنوا ولا يكتموا ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ماذا فعلوا؟ ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا﴾ فذمَّهم الله فقال: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

فهذه الآيات القرآنية تشهد لهذا الحديث: «**مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**» أي: يوم القيامة، وفيها الإثم، وفيها لعن الكاتم، وفيها الوعيد على الكاتم بأنه لا يكلمه الله، ولا يزكيه، وله عذاب أليم، فهي تدل على أن إثم الكاتم عظيم كما ترجم المؤلف، والمراد بالعلم الذي يكتمه: علم الشريعة، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته، والعلم بدينه وأمره ونهيه، والعلم بالجزاء.

■ **مسألة: متى يكون كاتمًا للعلم؟**

● **الجواب**: يكون كاتمًا للعلم إذا سئل عن علم يعلمه ولم يجب، ولم يرشد إلى غيره وهو متمكن من هذا العلم، وقد لا يستطيع السائل الوصول إلى حكم هذه المسألة إذا لم يبين له، أو يكون السائل في مجتمع بحاجة إلى هذا العلم، فهو كاتم للعلم خصوصًا إذا كان السائل بحاجة، ولا يجد من يسأله غيره، أما إذا كان الإنسان يكاد يجد غيره، أو أرشده إلى غيره، أوكان المسؤول ليس متمكنًا من هذه المسألة، أوعنده إشكال فلا يلزمه في هذا الأمر، ولا يكون كاتمًا للعلم، فيرشده إلى غيره وإلى من هو أفضل منه، وكذلك إذا كان الناس بحاجة إلى هذا العلم ثم كتمه،

وسكت، ولم يبيِّن للناس، وهم محتاجون إلى هذا، ولا يجدون غيره في هذا المكان، فيكون كاتمًا للعلم، وإلا فالعلماء لهم علم كثير، ولا يعلمه الناس فلا يلزم بهذا أن يكونوا كاتمين للعلم.



(٤) بابُ إِيجَابِ قَبُولِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كَافَّةِ الْخَلْق

قال: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ وَأَحْمَدُ بْنُ حَمْدَانَ قَالا: حدثَنَا حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حدثَنَا أَبُومُسْلِمٍ قال: حدثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عبيْدَةَ عَنْ عَبْدِاللهِ رضي الله عنه أنه قَالَ: جَاءَ رجل مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يضع السَّمَاوَات عَلَى إِصْبَعٍ والأرضيين عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] زَاد فُضَيْل وسُفْيَان فَضَحِكَ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ[١].

الشَّرْح

ذكر المؤلف رحمه الله في هذا الباب نصوصًا تدل على وجوب قبول صفات الله من جميع الخلق، فكافة الخلق من الأوليين والأخريين يجب عليهم أن يقبلوا صفات الله، ويثبتوها لله كما أثبتها الله لنفسه في الكتاب، وفي كتبه المنزلة، وكما أثبته له رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

○ قوله: «عَنْ عَبْدِاللهِ رضي الله عنه» هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، رقم (٤٨١١)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٦) واللفظ له.

< قوله: «جَاءَ رجل مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يضع السَّمَاوَات عَلَى إِصْبَعٍ والأرضيين عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ» كلمة (إصبع) فيها عشرة لغات، الهمزة مثلثة والباء مثلثة، كسر الهمزة: (إصبَع) (إصبُع) (إصبِع)، وبفتحها: (أصبَع) (أصبُع) (أصبِع)، وبضمها: (أُصبُع) (أُصبَع) (أُصبِع) والعاشرة: (أصبوع)[١].

وفي هذه الرواية ذكر أربعة أصابع، وفي رواية البخاري ومسلم: «**وسائر الخلق على إصبع**»، وفي لفظ لمسلم: «**وسائر الخلق على إصبع**»[٢] فتصبح خمسة أصابع.

فهذا الحديث رواه الشيخان البخاري ومسلم، وفيه: إثبات أربعة أصابع لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وهذا الحديث من أحاديث الصفات.

وفيه: دليل على أن اليهود قد يثبتون الصفات، وإن كان اليهود لم يؤمنوا بالنبي ﷺ، وظاهر هذا الحديث أن هذا اليهودي لم يؤمن بالنبي ﷺ، ولكنه عنده علم من التوراة، فجاء هذا اليهودي، وقال للنبي ﷺ: «**إن الله**»، وفي رواية: «**إنا نجد في كتابنا**».

وفي رواية البخاري: «**جاء حبر من الأحبار**»[٣] يقال: حِبر وحَبر بفتح الحاء أو كسرها، وهو العالم، «**من الأحبار**» أي: من علماء اليهود.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص٧٣٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، رقم (٤٨١١).

○ قوله: «**فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**»، والنواجذ: هي أقصى الأضراس، أو هي الأنياب، أو التي تلي الأنياب، أو هي الأضراس كلها(١).

والحديث فيه: دليل على عظمة الله ﷻ، فالسماوات يضعها على إصبع، والأرضيين كلها على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع.

وفي حديث آخر: «**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم**»(٢).

قوله: «**كخردلة**» الخردلة: هي الحبة الصغيرة، ومعلوم أن الواحد إذا كان في يده خردلة مستولٍ عليها ـ إن شاء قبضها، وإن شاء وضعها ـ فكذلك هذه المخلوقات العظيمة لا تساوي شيئا بالنسبة لعظمة الله ﷻ.

فيجب على جميع الخلق أن يثبتوا صفات الله التي أثبتها لنفسه أوأثبتها له رسول الله ﷺ، وفي هذا الحديث من الصفات إثبات صفة الأصابع لله ﷻ، وفيه رد على من أنكر الأصابع لله ﷻ من

---

(١) «القاموس المحيط» (ص٣٣٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤ / ١٧)، من طريق معاذ بن هشام حدثني أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مثله. إلا أنه قال: (يد الله) مكان (كف الرحمن)، وفي إسناده: عمرو بن مالك، وهو النكري أبو مالك ذكره ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل) (٦/ ٢٥٩)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وقال ابن حبان في (المجروحين ٣ / ١١٤) في ترجمة ابنه: يحيى بن عمرو بن مالك: (...فيكود هو وأبوه جميعا متروكين)، وقال ابن عدي في ترجمة أبي الجوزاء ـ وهو أوس بن عبدالله الربعي ـ: (حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة)، الكامل (٢/ ١٠٨).

الأشاعرة والمعتزلة والجهمية هؤلاء ينكرون الأصابع لله ﷻ، فالجهمية: ينكرون الأسماء والصفات، والمعتزلة: ينكرون الصفات، والأشاعرة: يثبتون سبع صفات وليست منها الأصابع، فهم يثبتون: «الحياة» و«الكلام» و«البصر» و«السمع» و«العلم» و«القدرة» و«الإرادة»، وماعدا ذلك من الصفات يأولونها، **وعقيدة أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل**، ومن ذلك: إثبات صفة الأصابع، وأن لله ﷻ خمسة أصابع تليق بجلاله وعظمته، فيجب على الخلق أن يقبلوا صفات الله، وأن يثبتوها له ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته كما أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ، وهذه من الصفات التي ثبتت في السنة المطهرة، والسنة وحي ثاني قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم ٣-٤]، فيجب قبول ما ثبت في السنة كما يجب قبول ما ثبت في القرآن الكريم.



(٥) بَابُ الرَّدِّ عَلَى مَنْ رَأَى كِتْمَانَ أَحَادِيثِ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُالْجَبَّارِ بْنُ مُحَمَّد السراجي قال: حدثَنا مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْبُوبٍ قال حدثَنا أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ قال حدثَنا عَبْدُالْوَهَّابِ الْبَغْدَادِيُّ الْوَرَّاقُ قال: حدثنا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﷻ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣] أَشَارَ أَنَسٌ ﵁ بِطَرَفِ أُصْبُعِهِ عَلَى أَوَّلِ بَنَانٍ من الْخِنْصر وَكَذَلِكَ أشار ثَابت الْبنانِيّ، فَقالَ: لَهُ حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ: مَا تُرِيدُ بِهَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، فَرَفَعَ ثَابِتٌ يَدَهُ فَضَرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ، وَمَا أَنْتَ يَا حُمَيْدُ؟ حدثني أنس بْن مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَتقول: أَنْت مَا تُرِيدُ بِهَذَا[1].

الشَّرْح

عقد المؤلف ﵀ هذا الباب للرد على من رأى معتقد كتمان

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٥)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الأعراف، (٣٠٧٤)، وأخرجه من طريق سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، ثم قال: «هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، (٢/ ٣٥١).

أحاديث صفات الله، وقال إن الأحاديث التي فيها صفات الله تكتم، وذكر فيه حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ في تفسير قول الله ﷻ في قصة موسى عليه الصلاة والسلام حينما تجلى الله ﷻ، وذلك أن موسى لما سمع كلام الله طمع عليه الصلاة والسلام أن يرى الله، فقال ربي أرني انظر إليك، فموسى ﵇ كليم الله من أولي العزم الخمسة كلمه الله بدون واسطة، فقال ربي كلامك أسمع أم كلام رسولك، فقال كلامي، فسمع كلام الله، فطمع في رؤية الله، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: في الدنيا لا تستطيع لبشريتك الضعيفة أن تثبت لرؤية الله؛ لأن الله احتجب عن خلقه، فلو كشف الحجاب لاحترق الخلق، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لايَنَامُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ، ويَرْفَعُهُ يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حِجَابُه النُّورُ لَوكَشَفَهُ لأحرقت سُبُحَات وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(١).

قوله: «**من خلقه**» عام يشمل الأنبياء وغيرهم، فلا يستطيع أحد أن يثبت لرؤية الله في الدنيا، ولكن في يوم القيامة، ينشّئ الله تعالى المؤمنين تنشأة قوية يثبتون فيها لرؤية الله فيرونه، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وأعظم نعيم يعطى إلى أهل الجنة هو رؤية الله حتى إنهم إذا كشف الله الحجاب، ونظروا إليه ﷻ نسوا ما هم فيه من النعيم ـ نسأل الله الكريم من فضله ـ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، (١٧٩)، (٢٩٣)،(٢٩٤)،(٢٩٥)، وفي بعضها «النار» بدل «النور».

لكن في الدنيا لا يستطيع أحد أن يرى الله ولا يستطيع أن يثبت لرؤية الله؛ لأن الله تعالى نشَّأ الخلق، وجعلهم بشر ضعفاء لا يستطيعون.

ولكن سمع موسى ﷺ كلام الله بدون واسطة وكذلك نبينا محمد ﷺ سمع كلام الله من دون واسطة ليلة المعراج كما روى عليه الصلاة والسلام.

فموسى ﷺ كليم الله قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، كلَّمه من وراء حجاب، أي: احتجب عنه فلا يراه؛ لكن سمع كلام الله من دون واسطة ملك، والوحي ينزل على النبي ﷺ بواسطة الملك وهو جبريل، وأحيانًا يسمع الرسول ﷺ كلام الله بدون واسطة قال تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾ [الشورى: ٥١].

وموسى ﷺ كلمه الله من دون واسطة، فلما سمع كلام الله طمع في رؤيته فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ قال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ أعطاه الله علامة، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ كشف الحجاب، وتجلى للجبل، ماذا حصل للجبل؟ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ إنساخ، وذاب الجبل الصلب الحجر العظيم لما تجلى الله له، وموسى ﷺ ماذا حصل له؟ قال الله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ فموسى صَعِق، والجبل تدكدك، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ فلما أفاق موسى من غشيته ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف ١٤٣] أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات، ولا جبل إلا تدهده، ولهذا ثبت في الحديث

الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَاتُخَيِّرُوني مِن بَين الأنبياء فإنَّ النَّاس يَصعَقُونَ يَوم القِيَامَة فأَكُون أَوَّل مَن يُفِيق فَإذا أنا بِمُوسى آخِذٌ بقَائِمَة مِن قَوَائِم العَرش فَلَا أدرِي أَفَاق قَبْلي أَم جُزِيَ بِصَعقَة الطُّور**»[١]، فهذه الصعقة التي حدثت له في الدنيا هي منقبة لموسى ﷺ، وفي يوم القيامة النبي ﷺ هو أول من يفيق فيجد موسى مستيقظ آخذ بقائمة من قوائم العرش يقول الرسول ﷺ: «**فَلَا أدرِي أَفَاق قَبْلي أَم جُزِيَ بِصَعقَة الطُّور**» فهذه كلها منقبة لموسى ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: كشف الله الحجاب عن الجبل بقدر طرف الخنصر.

○ قوله: «**طَرَفِ أُصْبُعِهِ عَلَى أَوَّلِ بَنَانٍ من الْخِنْصر**» أول بنان من الخنصر.

○ قوله: «**ثابت**»: هو التابعي ثابت البناني، أشار كما أشار أنس رضي الله عنه بطرف اصبعه.

○ قوله: «**فَقَالَ لَهُ حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ: مَا تُرِيدُ بِهَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ**»: حميد الطويل ينكر على ثابت البناني كيف تشير بأصبعك تقول كذا؟ كأنه يريد أن يقول: اكتم هذا الأمر، فلا تقل إن الله كشف بقدر هذا.

○ قوله: «**فَضَرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً**»: أي ضرب ثابتٌ صدرَ حميد «**وقال: من أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد، يحدثني به أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، فتقول أنت ما تريد إليه؟!**» هذا فيه: الرد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف ١٤٣]، رقم (٤٦٣٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، (٢٣٧٤).

على من رأى كتم أحاديث الصفات إلا أن الحديث فيه ضعف، قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن صحيح، والحديث ضعفه بعض أهل العلم وحسنه بعضهم.

وقد استدل به المؤلف رحمه الله في الرد على من رأى كتمان أحاديث الصفات، وأن أحاديث الصفات لا تكتم؛ لأنه علم، والعلم بأسماء الله وصفاته لا يكتم ما دام أنه ورد في الكتاب، وورد في السنة، لكن يبيَّن للناس ويوضح ويفسر، وإن كان كما قال علي رضي الله عنه: **«حَدِّثوا النَّاس بما يَعرِفُون أتحِبُّونَ أَن يُكَذَّب اللهُ وَرَسُولُه»**(١) فقد يحدَّث أناس بشيء، ولا يحدَّث به آخرون فينظر المعلم في أحوال الناس ليقول ما يناسبهم، لكن الصفات لا تُكتم؛ لأنها علم لابد من نشره، ولا يجوز كتمانه ما دام أنه ورد في الكتاب والسنة، ولكن قد يُكتم عن بعض العامَّة ؛ لئلا يكون لهم فتنة، ويُظهَر للعلماء والمتخصصين، وقد لا يُحدَّث به في وقت، وفي وقت آخر يكون مناسبًا، أما الكتمان فلا يجوز ولهذا بوّب المؤلف رحمه الله هذا الباب للرد على من رأى كتمان أحاديث الصفات لأن هذا فيه كتمان للعلم.



(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم (١٢٧).

(٦) بَاب إِيضَاحِ الْبَيَانِ أَنَّ اللَّه حَيٌّ

قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّد بن يحيى بنيسابور قال: حدثَنَا إسماعيل بن نجيد ح قال: وأخبرنا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيٍّ قال حدثنَا أَبُوبَكْرِ الإسماعيلي ح قال: وأخبرنا علي بن أبي طالب الشاركي ح قال: وأخبرنا أَحْمد بن سعدويه النَّسْرِيُّ الْحَاكِمُ قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ ح قال: وأخبرنا عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدِ الْفَارِسِيُّ قالأخبرنا عَلِيٌّ بْنُ عِيسَى قَالُوا: حدثنا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ ح قال: وأخبرنا عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدِ الْخُوَارِزْمِيُّ قال: حدثَنَا الرفاء قال: حدثَنَا أَحْمد ابن دَاوُود قَالَ قال: حدثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ قال: حدثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم قال: حدثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلا وَاحِدًا وانه وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ مَنْ أَحْصَاهَا دخل الْجنَّة»[1] وهذه الأَسْمَاء فيهَا الْحَيّ القيوم.

الشَّرْح

هذا الباب في إثبات اسم الله: الحي، وصفة الحياة لله ﷻ، وهذا مجمع عليه بين المسلمين، وأن الله تعالى حي موصوف بالحياة، والحي القيوم اسمان عظيمان ترجع إليهما جميع الأسماء

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدا، رقم (٧٣٩٢)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٦٧٧).

والصفات، حتى قيل: إنه الاسم الأعظم(١)

قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية(٢):

أوصـافـه الـقـيـوم والـ ... قـيـوم فـي أوصـافـه أمـران
إحداهـمـا الـقـيـوم قـام بـنـفـسـه ... والـكـون قـام بـه هـمـا الأمـران
فـالأول اسـتـغـنـاؤه عـن غـيـره ... والـفـقـر مـن كـل إلـيـه الـثـانـي
والـوصـف بـالـقـيـوم ذو شـأن كـذا ... مـوصـوفـه أيـضـا عـظـيـم الـشـان
والـحـي يـتـلـوه فـأوصـاف الـكـمـا ... ل هـمـا لأفـق سـمـائـهـا قـطـبـان
فـالـحـي والـقـيـوم لـن تـتـخـلـف الـ ... أوصـاف أصـلا عـنـهـمـا بـبـيـان.

فيلزم من «**الحياة**»: العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام وغيره، ويلزم من «**القيومية**»: أنه قائم بنفسه، ومقيم لغيره، ويمسك السماوات والأرض أن تزولا، فالقيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم ٢٥]، والله تعالى جمع بين الحي والقيوم في ثلاث آيات من كتابه، الآية الأولى آية الكرسي التي في سورة البقرة قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة ٢٥٥]، والآية الثانية في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران ٢]، والآية الثالثة في سورة طه ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه ١١١].

فلذلك اسم الحي وصفة الحياة مجمع عليها من المسلمين، فمن

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٤/ ١٨٧)، و«مدارج السالكين» (١/ ٤٤٦). **قال الحافظ ابن حجر**: «وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولًا». «فتح الباري» (١١/ ٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) «الكافية الشافية» (ص٢١١).

أنكر اسم الله الحي وصفة الحياة فهو كافر؛ لأنه أنكر وجود الله ﷻ.

◗ قوله: «**قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئةً إلا وَاحِدًا وانه وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ مَنْ أَحْصَاهَا دخل الْجَنَّة**» ذكر المؤلف رحمه الله هذا الحديث بالسند، والسند فيه أربع تحويلات.

◗ قوله: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئةً إلا وَاحِدًا**» هذا لا يفيد الحصر، فالله تعالى له أسماء غير محصورة، والدليل على أن أسماء الله كثيرة حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في دعاء الكرب: «**مَا أَصَابَ أَحداً قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهم إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُو لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوأَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوعَلمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَواسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ همِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجاً، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**»(١).

فهناك أسماء سمى الله بها نفسه، وهناك أسماء أنزلها في كتابه، وهناك أسماء علمها بعض خلقه، وهناك أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده، إذن فأسماء الله ليست منحصرة، بل هي كثيرة، حتى قيل: إن لله ألف اسم.

والمراد بحديث: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**» أن لله تسعة وتسعين اسمًا موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة، وله أسماء أخرى ليست موصوفة بهذا الوصف، كما تقول: عندي مئة من الإبل حُمر،

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٩١) (٣٧١٢)، وابن حبان في صحيحه، (٣/ ٢٥٣) (٩٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٠) (١٨٧٧)، وصححاه.

فهذا لا ينفي أن يكون عندك غيرها من الإبل وُرق ولك غيرها، فكذلك إن لله تسعة وتسعين اسمًا موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة، وله أسماء أخرى كثيرة ليست موصوفة بهذا الوصف، وهذا فيه فضل عظيم لهذه التسعة والتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة.

■ **مسألة: هل الأسماء التسعة والتسعون معروفة؟**

● **الجواب**: أنها غير معروفة، قد أخفاها الله؛ حتى يجتهد العباد في تعرفها، وطلبها، والبحث عنها، والتنقيب عنها في النصوص، واستخراجها، وأما ما ورد في بعض الأحاديث عد هذه الأسماء، وسردها، فالصواب أنه مدرج من بعض الرواة، قال الحافظ ابن حجر ﷺ في بلوغ المرام «وساق الترمذي وابن حبان الأسماء، والتحقيق أن سردها إدراج من بعض الرواة»[1] ليست من كلام النبي ﷺ، فبعض الرواة اجتهد وجمع تسعة وتسعين اسمًا وسردها في الحديث، والنبي ﷺ اشترط لمن أحصاها، وإحصاؤها يلزم منه البحث عنها، ومعرفتها، وحفظها، وتعلم معانيها، والعمل بما يمكن العمل به منها، وغير ذلك من أنواع الإحصاء دخل الجنة، مثل اسم الله «الكريم» فتتصف بالكرم، واسم الله «الحليم» فتتصف بالحلم.

○ قوله: «**إنه وتر**»: فيه أن الله وتر، والظاهر أن من أسماء الله الوتر؛ لأن النبي ﷺ أطلقه فقال: «**وإنه وتر يحب الوتر**».

○ قوله: «**يحب الوتر**» فيه: إثبات صفة المحبة لله ﷻ، والحديث ظاهره العموم.

---

(١) «بلوغ المرام» (ص ٤١٩).

○ قوله: «**وهذه الأسماء فيها الحي والقيوم**» فيجب على المسلم أن يثبت اسم الحي لله، وصفة الحياة لله، واسم القيوم، وصفة القيومية، لثبوتهما في الكتاب والسنة، وهي من دلائل توحيد الله ﷻ، وأنه تبارك وتعالى له الحياة الكاملة، فلا يلحق حياته تبارك وتعالى ضعف، ولا نقص، ولا موت، ولا فساد، بخلاف المخلوق، فإن حياته ضعيفة يعتريها النوم، والنعاس، ويعتريها الموت، والفساد، أما الله فحياته كاملة، وحياة المخلوق ناقصة، والله تعالى هو الحي القيوم، وهو الأول الذي لا بداية لأوليته، وهو الآخر الذي لا نهاية لآخريته؛ لأنه لوكان له بداية لكان مسبوقًا بالعدم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد ٣]، فهذه أسماء أربعة لله: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، اسمان متقابلان لأوليته، وأبديته، واسمان متقابلان لفوقيته، وبيان بطونه، وعدم حجبه شيء من مخلوقات الله، فتوسل النبي ﷺ بهذه الأسماء الأربعة في الحديث الصحيح ـ حديث الدعاء عند النوم في ـ قوله ﷺ: «**اللَّهم أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شيء، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شيء وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شيء وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شيء، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَاغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»[1] ففسر «الأول» بأن ليس قبله شيء، وفسر «الآخر» بأن ليس بعده شيء، وفسر «الظاهر» بأن ليس فوقه شيء، وفسر «الباطن» بأن ليس دونه شيء، فلا يحجبه شيء من خلقه سبحانه وتعالى.



(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم (٢٧١٣).

(٧) بَاب فِي بَيَان الدَّلِيلِ أَنَّهُ ﷻ لا يَنَامُ

قال: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَمْدَانَ الشاركي وَأحمد بن سُلَيْمَان النسر يقَالا: حدثَنَا الرفاء قال: حدثنَا عُمَرُ بْنُ حَفْص قال: حدثنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَسْعُودِيُّ ح قال: وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ قال: أَخْبَرَنَا الإدريسي قال: حدثنَا أَبُوسعيد الزَّاهِد قال: حدثنَا بن كرابية قال: حدثنَا عُبَيْدُاللهِ عَنِ الْمَسْعُودِيِّ ح قال: وأخبرنا عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أنه قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخمس كلمات، فقال: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَار قبل اللَّيْل، حجابه النُّور لَو كَشَفَهَ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ»[١].

الشَّرْح

هذا الباب في بيان الدليل عن أن الله تعالى لا ينام؛ لأن النوم ضعف ونقص، والله تعالى كامل، فالنوم صفة تلحق المخلوق؛ لضعفه حتى يرتاح من التعب، أما الله فلا يلحقه تعب ولا نقص ﷻ، فلا ينام، فالنوم نقص في حق الخالق، وإن كان كمالًا في حق المخلوق.

---

(١) سبق تخريجه.

< قوله: «عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ»: هو أبو موسى الأشعري ﷺ.

< قوله: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لا يَنَام»: هذا هو الشاهد في الترجمة.

< قوله: «وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَام»: لا ينبغي له أن ينام؛ لأن صفة النوم نقص في حقه؛ ولأن الله تعالى يمسك السماوات والأرض أن تزولا، وكيف ينام وهو ﷻ قائم على كل نفس بما كسبت؟

وكيف ينام وهو حامل العرش وحملة العرش بقوته وقدرته؟ فالنوم مستحيل في حق الخالق.

فلو كان للسماوات والأرض إله غير الله لفسدتا، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿لَوْ﴾ حرف إمتناع لا متناع، فيمتنع فساد السماوات والأرض لامتناع تعدد الآلهة، فإن النوم مستحيلٌ في حق الله؛ ولأن النوم نقص، والله تعالى له الكمال منزّه عن كل نقص.

< قوله: «يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ» القسط: هو العدل، وهل يليق بمن يخفض القسط، ويرفعه أن ينام؟!

< قوله: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَار قبل اللَّيْل حجابه النُّور» في لفظ آخر عند مسلم: «**حجابه النار**»[1] احتجب عن خلقه بالنار، وبالنور، وفي رواية: «**بأربع: بنار، وظلمة، ونور، وظلمة**»[2]، وفي رواية: «**نار، وماء، ونور،**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، برقم (٢٩٣).

(٢) أحرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٣١٩)، والدارمي في «نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله من التوحيد» (ص ٧٦٢٢).

وظلمة»[١]، وفي رواية: «**سبعون حجابًا**»[٢]، وفي رواية أيضًا: «**بسبعين ألف حجاب**»[٣].

○ قوله: «**لَو كَشَفَهُ**» لو كشف الحجاب

○ قوله: «**لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ**» وفي لفظ آخر: «**لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

وهذا الحديث من الأدلة على أنه لم ير الله أحد في الدنيا لا الملائكة، ولا غيرهم حتى نبينا عليه الصلاة والسلام.

• وأجمع العلماء على أن الله ما يراه أحد في الدنيا ما عدا نبينا ﷺ.

• وأجمعوا على أن النبي ﷺ لم يره في الأرض.

واختلفوا في رؤيته ليلة المعراج على قولين ـ كما سيأتي في باب: رؤية النبي ﷺ ربه ﷻ ليلة المعراج رؤية يقظة.

والشاهد من الحديث: أن الحديث دليل على أن الله ﷻ لا ينام، وأن النوم مستحيل في حق الله ﷻ؛ لأنه نقص والله تعالى له الكمال.



(١) رواه الخلال كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بإسناد الخلال في بيان تلبيس الجهمية (٨/ ١٠٧).

(٢) رواه الخلال كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بإسناد الخلال في بيان تلبيس الجهمية (٨/ ١٠٨).

(٣) رواه الخلال كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بإسناد الحلال في بيان تلبيس الجهمية (٨/ ١٠٦).

(٨) بَابُ بَيَانِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ شَيْءٌ

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ الْقَاضِي إِمْلاءً قال: حدثنا أحمد ابن مُحَمَّد النسري الرَّازِيُّ بِالْكُوفَةِ قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى التَّمِيمِيُّ قال: حدثنا أَبُو نُعَيْمٍ عَن شَيْبَان عَن يحيى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﵄ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «مَا شَيْءٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ ﷻ»[(١)].

الشَّرْح

هذا الباب في بيان أنه يخبر عنه بأنه شيء، وليس المراد أن شيء من أسماء الله، وقد بوب الإمام البخاري ﵀ في صحيحه فقال: باب ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩] فسمى الله تعالى نفسه شيئا[(٢)]. والقاعدة عند أهل العلم: «أن باب الإخبار أوسع من باب الصفات»، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أووصفه به رسوله ﷺ؛ لكن باب الخبر أوسع، لذا تخبر عن الله بأنه شيء؛ لكن لا تقول: أن من أسماء الله الشيء، وتخبر عن الله بأنه موجود، ولا تقول: أن موجود من أسماء الله موجود، وتخبر عن الله بأن لله ذات، ولا تقول: أن من أسماء الله الذات، وتخبر عن الله بأنه

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة،رقم (٥٢٢٢)، ومسلم، كتاب التوبة، رقم (٢٧٦٠).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ١٢٤).

صانع، ولا تقول: أن من أسماء الله الصانع، فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، ولا تصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ مثل: الحكيم، العليم، السميع، البصير، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، العزيز، الجبار...

فليس من أسماء الله «شيء»؛ ولكن أخبر سبحانه عن نفسه بأنه شيء؛ كما في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها سمعت النبي ﷺ يقول: **«ما شيء أغير من الله ﷻ»** فأخبر عن الله بأنه شيء، وكذلك أيضًا في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام ١٩]، فأخبر عن الله سبحانه بأنه شيء من باب الخبر، وليس من باب الصفات.

فهذا الحديث فيه الخبر عن الله بأنه شيء.

وفيه: إثبات صفة الغيرة لله؛ كما يليق بجلال الله وعظمته، ويدل أيضًا على ذلك الحديث الآخر حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربتُهُ بالسّيف غير مُصفِح عنه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَ اللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّى مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ»**(١)، والشاهد: وصف الله بالغيرة في قوله: **«أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَ اللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي»** ففيه: إثبات صفة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لاشخص أغير من الله»، رقم (٧٤١٦)، ومسلم، كتاب اللعان، (١٤٩٩)، واللفظ له.

الغيرة لله، ولكن ليس كصفات المخلوق، بل كما يليق بجلال الله وعظمته، ولا يماثل أحدًا من خلقه كما أخبر في كتابه قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل: ٧٤]



(٩) بَابُ بَيَانِ أَنَّ اللَّه ﷻ شَخْصٌ

قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّائِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ حَمْدَوَيْهِ الصَّابُونِيُّ، قال: حدثنا أَبُو الْحَسَنِ بن بشير قال: حدثنا كَامِل والمقرئ قَالا: حدثنا أَبُوعَوَانَةَ عَنْ عبدالْملك ابْن عُمَيْر عَن وَراد كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ عَنِ الْمُغِيرَةِ ﷺ قَالَ قَالَ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَو رَأَيْتُ رَجُلا مَعَ امْرَأَتِي لضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَةً مِنِّي فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غيرَة سعد فوالله لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَتِهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَلا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ ﷻ وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ ﷻ وَمِنْ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ، وَمُنْذِرِينَ، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ ﷻ(١)».

الشَّرْح

عقد المؤلف ﷺ هذا الباب لبيان أن الله ﷻ يخبر عنه بأنه شخص، ولا يقال من أسماء الله أنه شخص، وإنما هذا من باب الخبر.

وقد بوب الإمام البخاري ﷺ على هذا الحديث، فقال: باب قول النبي ﷺ: **«لا شخص أغير من الله»**(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح البخاري (٩/ ١٢٣).

○ قوله: «... فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«أَتَعْجَبُونَ مِنْ غيرَة سعد فوالله لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَتِهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَلا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ ﷻ وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ ﷻ وَمِنْ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ، وَمُنْذِرِينَ، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ ﷻ»** هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، وفيه: إثبات أن الله شخص، وذُكر في مواضع في قوله: **«ولا شخص أغير من الله»**، **«ولا شخص أحب إلى العذر من الله»**، **«ولا شخص أحب إلى المدحة من الله»**.

وهو في المسند بسياق مطول جداً وفيه ذكر البعث والنشور وفيه: «فيخرجون من الأصواء أو من مصرعهم، فتنظرون إليه وينظر إليكم، قال: قلت: يا رسول الله، كيف نحن ملء الأرض وهو شخص واحد ننظر إليه وينظر إلينا قال: **«أنبئك في آلاء الله ﷻ»**»(١)(٢).

وفي الحديث أيضًا: إثبات الغيرة لله ﷻ، وأنها من صفاته لقوله: «**أتعجبون من غيرة سعد فوالله أنا أغير منه والله أغير مني**»، فيُثبت لله صفة الغيرة، ومن آثار غيرته حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

○ قوله: «**من أجل غيرته حرم الفواحش**» تحريم الفواحش ليس

(١) «فتح الباري» (٤/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في الرؤية، رقم (٤٧٣١)، وابن ماجه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٠)، وعقب على هذا الحديث ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٣/ ٥٩١) بقوله: «هذا حديث كبير جليل... ورواه أئمة أهل السنة في كتبهم، وتلقوه بالقبول...».

هو الغيرة؛ لكنه أثر من آثار الغيرة.

○ قوله: «**ولا شخص أحب إلى العذر من الله**» فيه: إثبات صفة المحبة لله، فمن آثار محبة الله العذر، ومن آثاره أنه بعث الرسل مبشرين ومنذرين.

○ قوله: «**ولا شخص أحب إلى المدحة من الله**» والمِدحة ـ بكسر الميم ـ وهو المَدح ـ بفتح الميم ـ[1]، وبكليهما جاءت الروايات للحديث.

وفيه: إثبات المحبة لله، ومن آثارها أن الله مدح نفسه ﷻ، كما في لفظ الحديث عند مسلم: «**من أجل ذلك مدح نفسه**».



(١) شرح النووي على مسلم (١٠/ ١٣٢).

(١٠) بَابُ بَيَانِ إِثْبَاتِ النَّفْسِ لِلَّهِ ﷻ

قال: أخبرنَا أَبُو زَكَرِيَّا يحيى بن عمار بن يحيى الإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قال: حدثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قال: حدثَنَا عَبْدُالْجَبَّارِ قال: حدثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ وهو مَوْلَى أَبِي طَلْحَةَ عَنْ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ورضا نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ ﷻ»[١].

الشَّرْح

الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، والشاهد منه قوله «ورضا نفسه» فأثبت الله ﷻ نفسًا.

وإثبات النفس لله ﷻ ثابت في القرآن الكريم أيضًا، قال الله عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦] وقد قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨] فأثبت لله نفسًا.

○ قوله: «سبحان الله»: تنزيهًا الله عما يليق بجلاله وعظمته.

○ قوله: «سبحان الله وبحمده»: أي: أجمعُ بين التسبيح والتحميد.

○ قوله: «عدد خلقه ومداد كلماته»: المداد هو ما يُكتَب به.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٢٦).

○ قوله: «ورضا نفسه»: أي: ما يرضيه سبحانه.

■ **مسألة: هل النفس صفة من صفات الله أوالنفس ذات الله؟**

● **الجواب**: قال بعض العلماء: أن النفس صفة لله، وظاهر كلام الأئمة، وشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ أن النفس هو ذات الله، أي: أن النفس هي الذات الموصوفة بالصفات(١).

والصواب أن المراد بالنَّفْس: اللهُ، يعني: ذاته سبحانه المتصلة بصفاته، وليس المراد بها ذاتًا مجرَّدَةً عن الصفات، وليس المراد بها صفة للذات، **هذا هو الصواب الذي عليه جمهور العلماء** كما حقَّق ذلك أهل العلم **كشيخ الإسلام ابن تيمية** ﷺ وغيره، **قال** ﷺ: «ومعلوم أن نفس الله التي هي ذاته المقدَّسة الموصوفة بصفات الكمال ليست مثل نفس أحد من المخلوقين.

وقد ذهب **طائفة من المنتسبين إلى السنة من أهل الحديث وغيرهم وفيهم طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما** إلى أن النفس صفة من الصفات، **والصواب** أنها ليست صفة، بل نفس الله هي ذاته سبحانه الموصوفة بصفاته سبحانه؛ وذلك لأنه بإضافته إليه قطع المشاركة فكذلك لما أضاف إليه علمه وقوته ووجهه ويديه وغير ذلك قطع بإضافته إليه المشاركة فامتنع أن شيئًا من ذلك من جنس صفات المخلوقين كما امتنع أن تكون ذاته من جنس ذوات المخلوقين»(٢).

وقال ﷺ: «ويُراد بنفس الشيء: ذاته وعينه كما يُقال «رأيت

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١٠/ ٣٠٨)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٤٤٩-٤٥٥).
(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١٠/ ٣٠٨).

زيدًا نفسَهُ وعينَهُ»، وقد قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وفي الحديث الصحيح أنه قال لأم المؤمنين: «**لقد قلتُ بعدك أربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن «سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلماته»**[(١)]، وفي الحديث الصحيح الإلهي عن النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم**»[(٢)]».

فهذه المواضع المراد فيها بلفظ «النفس» عند **جمهور العلماء** الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتًا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، **وطائفة من الناس** يجعلونها من باب الصفات، كما يظن **طائفة** أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ»[(٣)].

فالذي يقول «إن النَّفْس صفة للذات» قد أخطأ، والذي يقول «إن النَّفْس هي الذات المجرَّدَة عن الصفات» قد أخطأ، **والصواب** أن النَّفْس هي ذاته المتصفة بصفاته.



(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وقوله جلَّ ذكره ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾»، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٦٧٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٩٢، ٢٩٣)، وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٤٤٩ - ٤٥٥).

(١١) بابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاء تعالى

قال: أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيل الإِمَام قال: حدثَنَا جَعْفَر ابْن مَعَالِي قال: حدثَنَا عُمَرُ بْنُ هَارُونَ قال: حدثنَا أَبُو كُرَيْبٍ قال: حدثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أنه قَالَ: «جَاءَ رَجلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَ: عَلَيَّ رَقَبَةٌ فَهَلْ تجزيء هَذِهِ عَنِّي؟، فَقَالَ: أَيْنَ اللهُ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ، من أنا فَقَالَت: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(١).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلام أَبُو إِسْمَاعِيلَ عَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ: حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ إِسْنادًا مِنْ هَذَا.

الشَّرْح

يذكر المؤلف في هذا الباب الدليل على أن الله تعالى في السماء.

○ قوله: «**في السماء**»: المراد بالسماء هنا: العلو، و«في» للظرفية على بابها، وكل ما علاك فهو سماء، والله تعالى له أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، وهذا هو الأصل أن «في» للظرفية، والسماء المراد بها العلو، وقد يراد بالسماء الطباق المبنية فتكون (في) بمعنى (على) كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣٣)، وله شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ في المسند (٢/ ٢٩١).

نَذِيرِ ﴿١٧﴾ [الملك: ١٦-١٧]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من على السماء، وقوله تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧] أي: على الأرض، وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل، ويقال: فلان (في السطح) و(في الجبل) أي: (على السطح) و(على الجبل).

والأدلة على أن الله تعالى في السماء، وفي العلو كثيرة من ذلك قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك: ١٦] في موضعين، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى: في سورة الأعراف الآية (٥٤)، وفي سورة يونس الآية (٣)، وفي سورة الرعد الآية (٢)، وفي سورة الفرقان الآية (٥٩)، وفي سورة السجدة الآية (٤)، وفي سورة الحديد الآية (٤)، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] وفي هذه الآيات كلها فيها التعدية بحرف «على» الذي يدل على العلو، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١]، وكذلك كل نص في الصعود يكون فيه إثبات العلو لله ﷻ، والصعود يكون من أسفل إلى أعلى، قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٨]، قال تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤]، والعروج يكون من أسفل إلى أعلى قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر ١]، والنزول يكون من أعلى إلى أسفل، فأفراد الأدلة التي تدل على أن الله في العلو تزيد على ألف دليل[1].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٢)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٢٦)، و«الصواعق المرسلة» (١/ ٣٦٨) (٤/ ١٢٧٩).

(١١) بابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاء تعالى

قال: أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيل الإِمَام قال: حدثَنَا جَعْفَر ابْن مَعَالِي قال: حدثَنَا عُمَرُ بْنُ هَارُونَ قال: حدثنا أَبُو كُرَيْبٍ قال: حدثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ أنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَ: عَلَيَّ رَقَبَةٌ فَهَلْ تجزيء هَذِهِ عَنِّي؟، فَقَالَ: أَيْنَ اللهُ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ، من أنا فَقَالَت: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[(١)].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلام أَبُو إِسْمَاعِيلَ عَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ: حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ إِسْنادًا مِنْ هَذَا.

الشَّرْح

يذكر المؤلف في هذا الباب الدليل على أن الله تعالى في السماء.

○ قوله: «في السماء»: المراد بالسماء هنا: العلو، و«في» للظرفية على بابها، وكل ما علاك فهو سماء، والله تعالى له أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، وهذا هو الأصل أن «في» للظرفية، والسماء المراد بها العلو، وقد يراد بالسماء الطباق المبنية فتكون (في) بمعنى (على) كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣٣)، وله شاهد من حديث أبي هريرة ﵁ في المسند (٢/ ٢٩١).

نَذِيرِ ﴿١٧﴾ [المُلك ١٦-١٧]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من على السماء، وقوله تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عِمرَان ١٣٧] أي: على الأرض، وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه ٧١] أي: على جذوع النخل، ويقال: فلان (في السطح) و(في الجبل) أي: (على السطح) و(على الجبل).

والأدلة على أن الله تعالى في السماء، وفي العلو كثيرة من ذلك قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [المُلك ١٦] في موضعين، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى: في سورة الأعراف الآية (٥٤)، وفي سورة يونس الآية (٣)، وفي سورة الرعد الآية (٢)، وفي سورة الفرقان الآية (٥٩)، وفي سورة السجدة الآية (٤)، وفي سورة الحديد الآية (٤)، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه ٥] وفي هذه الآيات كلها فيها التعدية بحرف «على» الذي يدل على العلو، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى ١]، وكذلك كل نص في الصعود يكون فيه إثبات العلو لله ﷻ، والصعود يكون من أسفل إلى أعلى، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النّساء ١٥٨]، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعَارج: ٤]، والعروج يكون من أسفل إلى أعلى قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزُّمَر: ١]، والنزول يكون من أعلى إلى أسفل، فأفراد الأدلة التي تدل على أن الله في العلو تزيد على ألف دليل(١).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/١٢)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٧/٢٦)، و«الصواعق المرسلة» (١/٣٦٨) (٤/١٢٧٩).

والحديث الذي أورده المؤلف بهذا السند **ضعيف**؛ لأنه من رواية أبي كريب عن معاوية عن سعيد المرزبان عن عكرمة، ولكن رواه الإمام مسلم من طريق آخر صحيح، عن معاوية بن حكم السلمي.

○ قوله: «**قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ عَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ**»: يقصد نفسه رَحِمَهُ اللهُ، ولعل إضافة الوصف له بشيخ الإسلام من بعد تلاميذه.

○ قوله: «**حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ إِسْنَادًا مِنْ هَذَا**»: سقطت كلمة «أصح»، أي: حديث معاوية بن الحكم أصح إسنادًا من هذا، وهو الحديث الذي رواه الإمام مسلم، والمؤلف أتى بهذا الحديث؛ لأن فيه تصريح بأن الجارية أعجمية سوداء، وإلا فالأولى أن يأتي بالحديث بالسند الذي رواه الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم قال: «بينا أنا أصلي مع ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، بأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**» قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منَّا رجالاً يأتون الكهان، قال: «**فلا تأتهم**»، قلت: ومنا رجال يتطيرون، قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم - قال ابن الصباح: فلا يصدنكم -**» قلت: ومنَّا رجال يخطون، قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك**» قال: وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما

يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها، فأتيته بها**» فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**»(١).

○ قوله: «**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ سَوْدَاءُ**»: أي: لا تعرف العربية.

○ قوله: «**عَلَيَّ رَقَبَةٌ**» أي: وجب علي رقبة، والرقبة تجب في: كفارة اليمين، وفي كفارة الظهار، وفي كفارة القتل.

○ قوله: «**فَهَلْ تجزيء هَذِهِ عَنِّي؟**» أي: هذه الجارية الأعجمية ليعتقها.

○ قوله: «**فَقَالَ: أَيْنَ اللهُ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ، من أنا فَقَالَت: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» هذا الحديث دليل على أن الله في السماء في العلو، والذين أنكروا علوالله على خلقه من أهل البدع من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، وغيرهم تأولوا هذه النصوص كلها، وضربوا بها عرض الحائط، وقالوا: إن الله ليس في العلو، ومن الأشاعرة من أوَّل علوه سبحانه على السماء بالقدرة!، والجهمية والمعتزلة قالوا: إن الله في كل مكان ـ نعوذ بالله ـ!، ومنهم من قال: بالحلول!، والحلول كفر ـ والعياذ بالله ـ.

فالأدلة التي تدل على أن الله في العلو كثيرة، وكذلك العقل يدل على أن الله في العلو، والفطرة تدل على أن الله في العلو، **والدليل** أن الجارية الأعجمية أخبرت عن الفطرة التي فطرها الله عليها، وأن الله في السماء، فصدَّقها النبي ﷺ، وشهد لها بالإيمان، بينما أهل

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٣٧).

البدع أجابوا عن هذا الحديث بأن اتهموا الرسول ﷺ! وقالوا: أن النبي ﷺ اضطر أن يسأل سؤالاً فاسداً؛ لأن الأعجمية لا تفهم، فالنبي ﷺ خاطبها على قدر عقلها فسأل سؤالاً فاسدًا!! وقالوا الرسول ﷺ ما يريد أن يقول «أين الله؟»، يريد أن يقول «من الله؟»؛ لأن «أين» إنما يسأل بها عن المكان، والله ليس له مكان!؛ لأنه لو كان في العلو؛ لكان له مكان؛ ولو كان له مكان يكون محصور، ولا يكون في المكان إلا الجسم المحدود، فلو كان له مكان لكان جسمًا محصورًا، وعندهم أن الله لا يحصره مكان بزعمهم، وقالوا: أن من قال: أن الله في العلو كفر!!

وهذا تأويل باطل؛ لأن الرسول ﷺ أفصح الناس، وأنصح الناس، وأعلم الناس، وأتقى الناس، وأبر الناس، فإذا كان الرسول ﷺ يريد أن يقول: «**من الله؟**»، فيقول: «**أين الله؟**» فيكون بذلك قد لبّس على الأمة! ولا يكون بلّغ الرسالة،ولا أدى الأمانة!!، فهذا الحديث حجة عليهم.

ومن الأدلة أن الله في العلو أن الرسول ﷺ رفع إصبعه إلى السماء في عرفة يستشهد الله عليه، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلغت اللهم هل بلّغت**»[1]، وأهل البدع ينكرون رفع الإصبع إلى السماء، ولو رفعت إصبعك عند الجهمية أو المعتزلة؛ لقطعوا إصبعك!، وقالوا: إنك مجسّم!

والمصنف رحمه الله أتى بدليل واحد، والقرآن الكريم مليءٌ بالأدلة الدالة على علو الله جل جلاله.



(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، (١٧٣٩).

(١٢) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بْنِ عَبْدِاللهِ الْحَاكِمُ ﷺ قال: حدثنا مُحَمَّدُ ابْن مُحَمَّدٍ الأَنْمَاطِيُّ قال: حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكِسَائِيُّ قال: حدثنا عَبْدُاللهِ بْنُ يَحْيَى الْمَدَنِيُّ قال: حدثنا مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «لَمَّا قَضَى اللهُ ﷻ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُو عِنْدَهُ عَلَى عَرْشِهِ، إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»(١).

الشَّرْح

لو أن المؤلف ﷺ قال «باب الدليل على أن الله ﷻ استوى على العرش» لكان أولى؛ لأن كونه في العلو يشمل العرش، وغيره؛ لكن الإستواء علوٌّ خاص، وهو الإستواء على العرش، والدليل على أن الله استوى على العرش أنه أخبر ﷻ أنه استوى على العرش في سبعة مواضع في كتابه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف: ٥٤] في سورة الأعراف الآية (٥٤)، وفي سورة يونس الآية (٣)، وفي سورة الرعد الآية (٢)، وفي سورة الفرقان الآية (٥٩)، وفي سورة السجدة الآية (٤)، وفي سورة الحديد الآية (٤) وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ في سورة طه الآية (٥)، كلها تدل أن الله استوى على العرش، والإستواء وصف فعلي يليق بجلاله وعظمته.

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، رقم (٣١٩٤)، ومسلم، كتاب التوبة (٢٧٥١).

■ **مسألة: الفرق بين العلو والإستواء:**

- أن **العلو** من الصفات الذاتية الملازمة للرب لا تنفك عن الباري.

- أما **الإستواء** على العرش فهو صفة فعلية، وكان بعد خلق السماوات والأرض.

فالله تعالى خلق العرش، ولم يستوعليه، ثم قدَّر المقادير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ولم يستوعلى العرش، ثم خلق السماوات، ثم استوى على العرش بعد خلق السماوات، فدلَّ على أنه في وقت كان مستويًا، وفي وقت لم يكن مستويًا، فكان من **الصفات الفعلية**، أما العلو فهو من **الصفات الذاتية**، فلا يقال أنه في وقت عالٍ، وفي وقت سافلاً ـ تعالى الله ـ، فالعلو، والعظمة، والعزة، والكبرياء، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الباري.

وقد دلت النصوص على أن الله مستوٍ على العرش، و«**استوى**» لها أربع معاني في اللغة العربية «**(استقر)، و(علا)، و(صعد)، و(ارتفع)**»، وأما الكيفية فلا يعلمها إلا الله، وهذه المعاني اللغوية لكلمة (الإستواء) عليها تدور تفاسير السلف[1]، فالله تعالى مستوٍ

---

(١) تتلخص أقوال السلف، وأئمة اللغة في تفسير الإستواء في أربعة معان:
الأول: قول ابن عباس وأبي العالية والحسن البصري والربيع بن أنس وكثير من مفسري السلف بمعنى «ارتفع».
الثاني: قول مجاهد ورُوي عن الحسن البصري وأبي العالية والربيع وأبي عبيدة معمر بن المثنى بمعنى «علا».
الثالث: قول أبي المبارك والثعلبي والكلبي ومقاتل وكثير من أهل العلم بمعنى «استقر».
الرابع: قول أبي عبيدة بمعنى «صعد».
انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/٣٥٩-٣٩٩-٤٠٠)، وقد أشار إليها ابن القيم في الأبيات المذكورة.

على عرشه بهذه المعاني الأربع استواء يليق بجلاله، وعظمته لا نعلم كيفيته، كما قال ابن القيم رحمه الله:

فلهم عبارات عليها أربع　　قد حصلت للفارس الطعان
وهي (استقر) وقد (علا) وكذلك (ار　　تفع) الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد (صعد) الذي هو أربع　　وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره　　أدرى من الجهمي بالقرآن[١]

○ قوله: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «لَمَّا قَضَى اللهُ ﷻ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُو عِنْدَهُ عَلَى عَرْشِهِ، إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي» هذا الحديث رواه الشيخان البخاري ومسلم.

○ قوله: «فَهُو عِنْدَهُ عَلَى عَرْشِهِ» فيه: إثبات أن الله على العرش.

۞ وهذا الحديث فيه إثبات عدة صفات:

الأولى: صفة الخلق في قوله «لَمَّا قَضَى اللهُ ﷻ الْخَلْقَ».

الثانية: صفة الكتابة في قوله «كَتَبَ» وهي من الصفات الفعلية.

الثالثة: أن الله على العرش في قوله «عَلَى عَرْشِهِ».

الرابعة: إثبات صفة الرحمة في قوله «إِنَّ رَحْمَتِي».

الخامسة: إثبات صفة الغضب في قوله «غَلَبَتْ غَضَبِي».



(١) انظر: «الكافية الشافية»، (ص٨٧).

(١٣) بَابُ ذِكْرِ حِجَابِ اللّهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِاللهِ الْمُؤَذِّنُ بِطُوسٍ قال: أخبرنا مُحَمَّد بن أَحْمَدَ الْعَمْرَوِيُّ قال: حدثنَا تَمِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَارَزِيُّ قال: وأخبرنا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبٍ وَالْحُسَيْنُ بْنُ عمر قَالا: حدثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ قال: حدثنَا يحيى بْنُ إِدْرِيسَ قال: حدثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حدثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حِجَابُهُ تَعَالَى النَّارُ لَو كَشَفَهَا لَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ»[١].

الشَّرْح

هذا الحديث رواه الإمام مسلم من طريق جرير عن الأعمش عن أبي مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى ﷺ، والصواب كما عند مسلم برواية عمر بن مرة «**حجابه النور لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»، وهنا قال: «**حِجَابُهُ تَعَالَى النَّارُ لَو كَشَفَهَا لَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ**».

استدل المؤلف ﷺ في هذا الباب بذكر حجاب الله ﷻ في حديث أبي موسى ﷺ عند الإمام مسلم وجاء فيه: «**حجابه النور**».

وقد جاء في أول الحديث: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار**

---

(١) سبق تخريجه.

وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

د قوله: «**لأحرقت سبحات وجهه**» قيل المعنى: أنوار بصره.

فالحديث فيه: إثبات الحجاب، وأن الله احتجب عن خلقه بالنور أو بالنار، وأنه لوكشف الحجاب لاحترق الخلق، وهذا من أدلة الجمهور على أن النبي ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج بعين رأسه، وإنما رآه بعين قلبه؛ لأن الله احتجب عن خلقه بالحجاب، لو كشفه لاحترق الخلق، ومنهم محمد ﷺ؛ لأنه من الخلق، وهو الصواب، وبعض العلماء يرى بأنه رآه بعين بصره، ومنهم المؤلف ﷺ.

وقد جاء في آثار أخرى أن الله احتجب عن خلقه بأنواع من الحُجب بنار، ونور، وظلمة، وكذا وكذا؛ لكن في الصحيح أن حجابه النور أو النار[1].

۞ من فوائد الحديث:

١- أن الله لا ينام كما في أول الحديث «**أن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**».

٢- أن الله «**يخفض القسط ويرفعه**» أي: العدل.

٣- إثبات أن الله احتجب عن خلقه بحجاب وهو النار.

٤- أن الخلق لا يثبتون لرؤية الله فلو كشف الحجاب لاحترق الخلق.



(١) سبق تخريجه.

(١٤) بَابُ وَضْعِ اللهِ ﷻ قَدَمَهُ عَلَى الْكُرْسِي

قال: أَخْبَرَنَا شُعَيْبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قال: حدثنَا حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حدثَنَا أَبُومُسْلِمٍ قال: حدثَنَا أَبُوعَاصِمٍ عَنْ سُفْيَانَ ح وأخبرنا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَحْمُودِيُّ قال: حدثَنَا الإِدْرِيسِيُّ قال: حدثَنَا أَبُوسعيد قال حدثنَا يحيى بْنُ يَحْيَى عَنْ وَكِيعٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ عَنْ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: «إِنَّ الْكُرْسِيَّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ وَالْعَرْشَ لا يَقْدُرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ» لَفْظُ وَكِيعٍ[1] وَيُرْوَى عَنْ أَبِي مُوسَى[2] وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعِكْرِمَةَ وَأَبِي مَالِكٍ.

الشَّرْح

حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيه تحويل بالسند عن سفيان ثم التحويل عن مسلم البطين عن سعيد بن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: «**إِنَّ الْكُرْسِيَّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ وَالْعَرْشَ لا يَقْدُرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ**»، وهذا لفظ وكيع عن سفيان، وهذا الأثر صحيح، وهو **موقوف** على ابن عباس رضي الله عنهما ليس من كلام النبي ﷺ، لكن مثل هذا له حكم الرفع؛ لأن ابن عباس لا يمكن أن يقوله من نفسه، فإذا كان قول الصحابي مما لا مجال للرأي فيه، فله حكم الرفع عند أهل العلم إذا كان الصحابي لا يأخذ عن بني إسرائيل، وابن عباس رضي الله عنهما يأخذ من بني إسرائيل؛

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص١٠٨،١٠٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (٣/ ١٠).

لكن مثله لا يمكن أن يأخذ هذا عن بني إسرائيل، والحديث صحيح موقوفًا، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

○ قوله: «ويروى عن أبي موسى» أي: يروى هذا الأثر من حديث أبي موسى ﷺ، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور، فقال: «وأخرج ابن جرير، وابن منذر، وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: «الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل»[1] يروى أيضًا من طريق أبي هريرة ﷺ وقد أورده ابن كثير وقال: «وقد رواه ابن مردويه من طريق الحاكم أبوبكر بن ظهير الفزاري الكوفي - وهو متروك - عن السدى عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا ولا يصح»[2]، ويروى من طريق عكرمة كما أورده السيوطي في الدر المنثور، فقال: «وأخرج أبو الشيخ، قال: الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش»[3]، وأخرجه عبد بن حميد، وأبو الشيخ في العظمة، والبيهقي عن أبي مالك ﷺ[4].

❁ **في الأثر عدة فوائد:**

١- إثبات القدم لله ﷻ.

٢- إثبات الكرسي.

٣- أن الكرسي موضع قدمين لله ﷻ.

---

(١) «الدر المنثور»، للسيوطي (٢/ ١٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٩).

(٣) «الدر المنثور، للسيوطي»، (٢/ ١٨)، وانظر: «العظمة»، لأبي الشيخ الأصبهاني، (٢/ ٦٣٣)، وفيه بدل (نور العرش) (نور السِّتْرِ).

(٤) انظر: «الدر المنثور»، (٢/ ١٧)، و«العظمة»، للأصبهاني، (٢/ ٥٥١)، و«الأسماء والصفات»، للبيهقي، (٢/ ٢٩٦،٢٩٥،١٩٥).

○ قوله: «**والعرش لا يقدر أحد قدره**» أي: لا يقدر أحد قدره لعِظَمه، فيكون العرش أعظم من الكرسي، وجاء في اللفظ الآخر أن نسبة السماوات والأرضيين إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض في صحراء.

فالكرسي أعظم من السماوات والأرضيين، ونسبة السماوات والأرضيين إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة في فلاة في صحراء من الأرض، كما في الحديث: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ**»(١) بالنسبة للكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، إذن العرش مخلوق عظيم والكرسي مخلوق عظيم، وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا يَقْدِرُ قَدْرَ الْعَرْشِ شَيْءٌ**»(٢) فالكرسي مخلوق عظيم أكبر من السماوات والأرض، نسبة السماوات إليه كحلقة، وفي لفظ: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**»(٣) فالعرش أعظم المخلوقات، وسقفه هو سقف المخلوقات، والله ﷻ يُمدح بأنه ذوالعرش، قال تعالى: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسرَاء: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البُرُوج: ١٥]، فالعرش أعظم المخلوقات، وأوسعها، وأعلاها، وسقفها، والكرسي موضع القدمين للرب ﷻ، والعرش لا يقدر أحد قَدرَه، وكل هذه

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩٩/ ٨٦١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم (٣١١٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٢/ ٥٨٧) وقال الذهبي: هذا مرسل، انظر: «العلو» (١/ ٩١).

المخلوقات العظيمة، العرش، والكرسي، والسماوات، والأرضيين لا تساوي شيء بالنسبة لعظمة الله تعالى كما جاء في الحديث: «**أن الله تعالى يضع السماوات على إصبع والأرضيين على إصبع والماء والثرى على إصبع والجبال على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن ويقول أنا الملك**»[١] وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**ما السماوات السبع والأرضيين السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم**»[٢]: هي الحبة الصغيرة.

■ **مسألة: هل الكرسي هو العرش؟**

الصواب: أن الكرسي غير العرش، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكرسي هو العرش[٣]، وهذه الرواية ضعيفة، وأضعف منها رواية أن الكرسي هو العلم[٤]، وهذا باطل[٥]؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولو أريد بالكرسي العلم، لقال: وسع علمه السماوات والأرض؛ إلا أن علم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٠).

(٤) ينسب إلى ابن عباس، أخرجه الطبري (٣/ ٩) من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال ابن منده: «ولم يتابع عليه جعفر، وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير» الرد على الجهمية (ص٣١)، قال شيخ الإسلام: «وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية» الفتاوى (٥/ ٦٠).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٨٤).

الله أوسع، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧].

فالصواب ما جاء في هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكرسي هو موضع القدمين، وأنه غير العرش، وأن العرش هو سقف المخلوقات.

۞ وفي الحديث من الفوائد:

١- إثبات الكرسي.

٢- إثبات العرش.

٣- إثبات القدمين لله عز وجل.



(١٥) بَابُ إِثْبَاتِ الْحَدِّ للّه ﷻ

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَارُودِيُّ الْحَافِظُ قال: حدثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُخَارِقٍ بتستر قال حدثنَا يحيى بْنُ مُعَاذٍ الْغَزَّالُ قال: حدثنَا يَحْيَى بْنُ غَيْلانَ قا:ل حدثنَا عَبْدُاللهِ بن وكيع بن بزيغ عَن روح بن الْقَاسِمِ قال: حَدَّثَنِي سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ فِي دُعَائِهِ: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ».

الشَّرْح

﴿ قوله: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء»: هذا جزء من حديث رواه الإمام مسلم من طريق سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ فسر قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد ٣]، فقال: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر**»[١].

والمؤلف رحمه الله أتى بهذا الجزء: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**»، فلو أتى المؤلف بالجزء الأول:

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧١٣).

«اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء» لكان أولى في هذا الباب.

والحد من الكلمات المجملة التي لم ترد في الكتاب والسنة نفيًا وإثباتًا، والمقصود من الحد كما ذكر العلماء، وكما ذكر المؤلف ﷺ هو: أن الله تعالى بائن من خلقه منفصل عنهم.

ومقصد المؤلف ﷺ هو الرد على الإتحادية القائلين بوحدة الوجود، والرد على الجهمية الذين يقولون: أن الرب مختلط بمخلوقاته ممتزج بها ـ تعالى الله ـ، فقول المؤلف: «**باب إثبات الحد**»، أي: أن الله تعالى له حد، فهو سبحانه بائن ومنفصل عن المخلوقات ليس مختلطا بهم.

وكلمة الحد لا تطلق على الله نفيًا ولا إثباتًا، فمن أطلقها نفيًا أو إثباتًا، فلابد من الاستفصال، فمن قال: إن لله حد، وأراد بذلك أن الله منفصل عن المخلوقات بائن منها، فهذا حق.

وكذلك أيضًا من المصطلحات أن يقال: إن لله حدًا، أي: لله حد يعلمه هو سبحانه، ويقول بعض العلماء: ليس لله حد، والمقصود بذلك: أنه ليس لله حد يعلمه العباد.

كما قال عبدالله بن مبارك ﷺ: حينما سئل كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا ﷻ؟ قال: «تعرف ربنا فوق سبع سماوات على العرش بائن من خلقه بحد، ولا نقول كما تقول الجهمية: هاهنا ـ وأشار بيده إلى الأرض ـ»[1] فمن أثبت الحد كعبدالله بن مبارك أراد بذلك

(١) «السنة» لعبدالله بن أحمد (٢٠٢).

أن الله تعالى له حد أي: أنه منفصل عن مخلوقاته بائن منها ليس مختلطًا بها فله حد منفصل.

ومن قال من العلماء: ليس لله حد، فمقصوده: أنه ليس لله حد يعلمه العباد، لكن له حد يعلمه ﷻ، فهي كلمة مجملة مثل: لفظ الجهة، ولفظ الجسم، والعرض، والحيز، والحد، والأبعاض، والأغراض، كل هذه كلمات لم ترد في الكتاب والسنة فلا تدل على نفي ولا إثبات فمن أطلقها نفيًا أو إثباتًا فيستفصل فإن أراد حقًا قُبِل، وإن أراد باطلاً رُد.

فإذا قال شخص: الله جسم؟

نقول: ما مرادك بالجسم؟ فإن قال: مرادي أن الله متصف بالصفات، فنقول: هذا المعنى صحيح، لكن لو عبَّرت بألفاظ النصوص؛ لأن ألفاظ النصوص بريئة وسليمة من احتمال المعاني الباطلة.

وإذا قال: الله ليس بجسم أو ليس له جسم؟

نقول: ما مرادك بالجسم؟ فإن قال: مرادي أن الله تعالى ليس متصفًا بالصفات، فنقول: هذا المعنى باطل، وإن قال: مرداي أن الله ليس مشابها للمخلوقات، فنقول: هذا حق، لكن هذا اللفظ لم يرد.

وبعضهم يقول: الله ليس له عرض؟

نقول: ما مرادك بالعرض؟ فإن كان يقصد بالعرض الصفات، فنقول: هذا باطل، فالصفات ثابتة لله تعالى والتسمية بالعرض باطلة، وإن أراد أن الله لا يماثل المخلوقات في صفاته فهو حق.

قال الإمام إسماعيل بن محمد بن فضل الأصفهاني: «تكلم

أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارة مختلفة، ومحصول تلك العبارات أن حد كل شيء موضع بينونته من غيره»(١).

وحد الشيء كونه منفصل عن غيره، فمثلاً حد الطاولة كونها منفصلة عن طاولة أخرى، فالعباد لا يحيطون بعلم الله ﷻ.

وقد أورد ابن بدران الدشتي أيضًا في كتابه «إثبات الحد لله» نقولاً عن السلف تبيِّن مرادهم من هذه العبارة، فقال: «ومذهب علماء السلف أن الله هو الأول القديم، وله حد لا يعلمه غيره، ولكن ليس لأحد أن يتوهم الحد لغاية في نفسه، ولكن عليهم أن يؤمنوا بذلك، ويكلوا علم ذلك إلى الله تعالى، قال أهل السنة: إن الله بكماله فوق عرشه يعلم، ويسمع من فوق العرش لا يخفى عليه من خلقه خافية، ولا يحجبه عنه شيء، علمه بهم فوق العرش محيط، وبصره فيهم نافذ قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنعام: ٨٠]، يعني: علم الله محيط و﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام: ١٨]، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٤]، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠]»(٢).

ثم ذكر أحاديث في هذا المعنى، ونقولاً عن الأئمة إلى أن ذكر الهرويَّ رحمه الله وأورد عنه هذا الحديث ذاكراً الباب الذي أورده والآثار

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٨٠-٨٨).
(٢) «إثبات الحد لله» (١٠٤- ١٠٥).

التي تحته، وهو إثبات الحد لله ﷻ[1].

وبهذا يتبين أن مقصود المؤلف رحمه الله بقوله: «**باب إثبات الحد لله تعالى**» أي: أن الله تعالى بائن عن المخلوقات منفصل عنها ليس حالّاً بها، واستدل بالحديث: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**» فإذا كان هو الظاهر ليس فوقه شيء، فإذن هو منفصل عن المخلوقات ليس فوقه شيء من المخلوقات، فالمخلوقات سقفها عرش الرحمن، والله فوق العرش، فليس مختلطًا بالمخلوقات سبحانه وتعالى فله حدٌّ منفصل.



(١) «إثبات الحد لله» (١٢٦).

(١٦) بَابُ إِثبَاتِ الجِهَاتِ للّهِ ﷻ

قال: حَدَّثنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالب قال: أخبرنا الرفاء قال: حدثنا مُبشر بْنُ مُوسَى قال: حدثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قال: حدثَنَا سُفْيَانُ قال: حدثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَاللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»(١).

الشَّرْح

لو أن المؤلف رحمه الله قال: باب إثبات الفوقية لله تعالى، يعني: أن الله في العلو، لكان أولى، أما لفظ الجهة فهو من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب، ولا في السنة مثل إثبات الحد، فهي محتملة للحق، ومحتملة للباطل فمن أطلقها نفيًا أوإثباتًا؛ فإنه يُستفصل، فإن أراد حقًا قُبل، وإن أراد باطلاً رُد، فالجهة يراد بها أمر وجودي، ويراد بها أمر عدمي، فإذا قال شخص: إن الله في جهة نقول ما مرادك بالجهة؟ هل مرادك أمر وجودي أم أمر عدمي؟

فإن كان مراده أمر وجودي، أي: السماء السابعة وغيرها، وأنَّ الله داخل العرش، أو داخل السماوات، وأن الله تحيط به المخلوقات، وتحصره، وتحيط به إحاطة الظرف بالمظروف فهذا باطل.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧)، والنسائي (٥٣٧٩).

أما إذا أراد بالجهة الجهة العدمية، وهي ما فوق العرش، أي: أنَّ المخلوقات والجهات انتهت، والله تعالى في جهة فوق العرش بعد أن تنتهي المخلوقات فهذا حق.

وكذلك إذا قال: الله ليس في جهة، نقول ما مرادك بالجهة؟ فإن أردت نفي أن يكون الله في جهة عدمية، فهذا باطل، فالله في جهة عدمية، وهي ما فوق المخلوقات وفوق العرش، وإن أردت أن الله ليس في جهة وجودية، فهذا حق، فالله ليس في جهة وجودية، فليس في شيء من المخلوقات، فهو فوق المخلوقات ليس مختلطًا بها.

ومقصود المؤلف ﷺ في قوله: «**باب إثبات الجهات لله ﷻ**» أن الله في جهة العلو بعد أن تنتهي المخلوقات، وأن الله في جهة عدمية، فالمراد أن لفظ الجهة قد يُراد به ما هو موجود، وقد يُراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق، والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر وجودي غير الله تعالى كان مخلوقًا، كالعرش، أو السماء السابعة، أو الكرسي، والله ليس في شيء من المخلوقات، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات تعالى الله عن ذلك، وإذا أريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل: أنه في جهة بهذا الإعتبار أي: في جهة عدمية بعد أن تنتهي المخلوقات فهذا صحيح، ومعناه أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع عالٍ عليهم جل وعز.

ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو، ويقولون: الله ليس في العلو، الله ليس في جهة، مقصودهم: أن الله ليس في

العلو، وليس فوق العرش، ومن أدلتهم على ذلك: أن الجهات كلها مخلوقة، وأنه كان قبل الجهات، وأن من قال: أنه في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم، أوأنه كان مستغنيًا عن الجهة، ثم صار فيها، وهذه الألفاظ ـ ونحوها ـ إنما تدل على أنه ليس في شيء من المخلوقات سواء سُمي جهة، أو لم يسم جهة، فالله ليس في شيء من المخلوقات بل هو منفصل عن المخلوقات بائن عنها، والله فوق العالم وفوق العرش بعد أن تنتهي المخلوقات.

والطحاوي رحمه الله في عقيدته قال عن الله: «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات»[(١)]، والجهات الست هي:

«أمام، خلف، يمين، شمال، فوق، تحت» هذه الجهات الست «كسائر المبتدعات»، أي: كسائر المخلوقات، والطحاوي رحمه الله انتقد عليه هذا، قال ابن أبي العز شارح الطحاوية: «والشيخ رحمه الله ـ أي: الطحاوي ـ أراد الرد بهذا الكلام على المشبهة، كداود الجواربي، وأمثاله القائلين: إن الله جسم، وإنه جثة، وأعضاء، وغير ذلك، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، فالمعنى الذي أراده الشيخ رحمه الله من النفي الذي ذكره هنا حق، لكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقًا وباطلاً، فيحتاج إلى بيان ذلك، وهو: أن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حدًا، وأنهم لا يحدون شيئًا من صفاته»[(٢)].

ولهذا فمراده أنه لا يحيط به شيء من المخلوقات بل هو محيط بكل شيء وفوقه، وهذا المعنى هو الذي أراده الطحاوي رحمه الله فإذا جمعنا بين كلامه السابق واللاحق يفيد هذا المعنى، فعند النظر في

(١) «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز (١/ ٢٦٠).
(٢) المرجع السابق (١/ ٢٦٠-٢٦١).

قوله: «لا تحيطه الجهات الست كسائر المبتدعات» وقوله «محيط بكل شيء وفوقه» يعلم أن مراده رَحِمَهُ اللَّهُ أن الله تعالى لا يحويه شيء ولا يحيط به شيء كما يكون لغيره من المخلوقات وأنه تعالى هو المحيط بكل شيء العالي على كل شيء.

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني: «سمعت الأستاذ أبا منصور بن حمشاذ ـ على إثر هذا الحديث الذي أملاه علينا ـ يقول: سُئل أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عنه فقال: ينزل بلا كيف»[1] ، وهذا قول أهل السنة قاطبة لا يكيِّف على كيفية معينة، فنثبت النزول ولا تعلم الكيفية

وإنما توقف من توقف في نفي ذلك، لضعف علمه بمعاني الكتاب والسنة وأقوال السلف، ولذلك ينكر بعضهم أن يكون فوق العرش، بل يقول: لا مباين، ولا محايث، لا داخل العالم ولا خارجه، فيصفونه بصفة العدم والممتنع، ولا يصفونه بما وصف به نفسه من العلو والاستواء على العرش، ويقول بعضهم بحلوله في كل موجود، أو يقول: هو وجود كل موجود ونحو ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا[2].

○ قوله: «**قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلتا يديه يمين»**» هذا الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: أخبرنا عمر بن أوس عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به الإمام مسلم، وقال ابن أبي حاتم في العلل: «سئل أبي عن حديث رواه ابن المبارك عن

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ٢٢٢).
(٢) انظر: «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز (١/ ٢٦٧-٢٧٠).

معمر عن الزهري عن سعيد بن مسيب عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: «المقسطون لله في الدنيا يوم القيامة على منابر من نور بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا فقيل لأبي: أليس يرفع هذا الحديث؟ قال: نعم والصحيح موقوف».

○ قوله: «**إن المقسطين على منابر من نور**» أي: العادلين الذين يعدلون فلهم هذا الفضل العظيم، و«مقسط» من الرباعي «أقسط» عدل، فـ«مقسط» أي: بمعنى عادل، و«أقسط» بمعنى: عدل، وجاء في لفظ آخر تفسيره: «**الذين يعدلون في حكمهم، وفي أهليهم وما وَلُوا**»[١].

أما «قسط» من الثلاثي، بمعنى: جار وظلم؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ⑮﴾ [الجن: ١٥]، أي: الجائرون الظالمون.

○ قوله: «**على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين**» فيه: إثبات اليدين لله ﷻ، وأن لله يدين كريمتين، وأن كل منهما يمين.

■ **مسألة: هل لله يمين وشمال؟**

• **الجواب**: جاء إثبات الشمال في رواية في صحيح مسلم «**شماله**»[٢]، فأخذ بها بعض العلماء، وأثبتوا لله يمين، وشمال، وقالوا: له يمين وشمال، ولكن كلتا يديه يمين، بمعنى: يمين في الفضل، والشرف، والبركة، وعدم الضعف بخلاف المخلوق، فإن

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، برقم (١٨٢٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٨).

يده الشمال أضعف من يده اليمين، ولهذا قال: **«وكلتا يديه يمين»**، وبهذا اختيار الدارمي[١]، وأبو يعلى الفراء[٢] والإمام المجدد ومحمد بن عبدالوهاب[٣]، وسماحة شيخنا عبدالعزيز بن باز[٤] رحمهم الله.

القول الثاني: لا تسمى شمال، بل كلاهما يمين، وطعنوا في الرواية، وقالوا: تفرد بها حمزة بن عبدالله بن عمر، وليس له متابع[٥].

والحديث فيه: إثبات اسم الرحمن لله ﷻ، وأنه من أسمائه الخاصة.

وفيه: إثبات صفة الرحمة، وإثبات اليدين لله ﷻ.

■ **مسألة: ما مناسبة هذا الحديث في باب: «إثبات الجهة لله ﷻ»؟**

● **الجواب**: أن الحديث فيه: دليل على أن الله تعالى منفصل عن المخلوقات، وأن المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن، والذي له يمين منفصل عن المخلوقات بخلاف المختلط، فإن المختلط ليس له يمين، ولا شمال، وهو ﷻ فوق العرش، وجاء في أحاديث ـ وإن كان فيها ضعف ـ أن أهلَ الجنةِ إذا دخلوها نزلوا فيها بفضلِ أعمالهم ثم يؤذنُ في مقدارِ يومِ الجمعةِ من أيامِ

(١) «الرد على بشر المريسي» (ص ١٥٥).
(٢) «إبطال التأويلاوت» (ص ١٧٦).
(٣) «كتاب التوحيد» (ص ١٥٠).
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٢٦/٢٥).
(٥) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٥٥/٢).

الدنيا فيزورونَ ربهُم ويُبرِزُ لهم عَرْشَهُ، ويتبدّى لهم في روضةٍ من رياضِ الجنةِ فتوضعُ لهُم منابرُ من نورٍ ومنابرُ من لؤلؤ ومنابرُ من ياقوتٍ ومنابرمن زبرجدْ ومنابرُ من ذهبٍ ومنابرُ من فضةٍ ويجلسُ أدناهم - وما فيهِم من دنيّ - على كثبانِ المسكِ والكافورِ، وما يَرونَ أن أصحابَ الكراسِي بأفضلَ منهم مجلسا[1]، ففيه: إثبات العلو، وأن الله فوق المخلوقات في جهة العلو منفصل بائن عنها.



(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، برقم (٢٥٤٩)، وابن ماجه، أبواب الزهد، باب صفة الجنة، برقم (٤٣٣٦)، وأصله في مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في سوق الجنة، برقم (٢٨٣٣).

(١٧) بَابُ إِثْبَاتِ الْوَجْهِ لِلَّهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ الإِمَامُ قال: حدثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ عَدِيٍّ قال: حدثَنَا حَاتِمُ بْنُ مَحْبُوبٍ قال: حدثَنَا عَبْدُالْجَبَّار قال: حدثَنَا سُفْيَان قال: ما سمعناه مِنِ ابْنِ عَجْلَانَ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِاللهِ قال: قَالَ: عَبْدُاللهِ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَالَ بِسْمِ اللهِ وَقَالَ مَرَّةً مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ وَتَبَارَكَ اللهُ تَلَقَّاهُنَّ مَلَكٌ فَضَمَّ عَلَيْهِنَّ جَنَاحَهُ وَقَالَ مَرَّةً تَلَقَّاهُنَّ فَكَتَبَهُنَّ ثُمَّ ضَمَّهُنَّ إِلَى جَنَاحِهِ حَتَّى يجيي وَجْهَ[١] رَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

الشَّرْح

الوجه صفة من صفات الله ﷻ وهو ثابت لله ﷻ في القرآن العزيز، وفي السنة المطهرة، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]، ففيه: إثبات الوجه لله ﷻ.

وكذلك أيضًا جاء في الحديث: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ الظُّلُمَاتُ»[٢].

---

(١) في «الزهد» لابن مبارك (١١١٧)، و«حلية الأولياء» (٤/٢٦٨): «حتى يحيي بها وجه ورب العالمين»، وفي «تفسير ابن جرير» (٢٢/١٢٠): «حتى يحيي بهن وجه الرحمن»

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (ص٣١٥)، واللفظ له،وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/١١١)، وأخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/٢٧٥)، وغيرهم، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٣٥): رواه الطبراني، وفيه: ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، وضعفه الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (رقم/٢٩٣٣).

ومقصود المؤلف رحمه الله الرد على الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة الذين ينكرون الوجه، فيفسر الجهمي والمعتزلي والأشعري ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ذاته[1].

والآية فيها إثبات للوجه والذات جميعًا ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] وكذلك قوله: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات**»، للرد على الجهمية الذين ينكرون الوجه، والرد على المعتزلة، والرد على الأشاعرة.

○ قوله: «**قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَالَ بِسْمِ اللهِ وَقَالَ مَرَّةً مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ وَتَبَارَكَ اللهُ تَلَقَّاهُنَّ مَلَكٌ فَضَمَّ عَلَيْهِنَّ جَنَاحَهُ وَقَالَ مَرَّةً تَلَقَّاهُنَّ فَكَتَبَهُنَّ ثُمَّ ضَمَّهُنَّ إِلَى جَنَاحِهِ حَتَّى يجيءَ وَجْهَ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»**» هذا الحديث الذي ذكره المؤلف رحمه الله من رواية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو ضعيف، فلو أتى بالآية القرآنية لكانت كافية، فالوجه ثابت لله في الأحاديث الصحيحة وثابت في القرآن الكريم ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]، ولعل المؤلف رحمه الله أتى بالحديث؛ ليكون شاهدًا للأحاديث الصحيحة.

والشاهد من هذا الحديث قوله: «**حَتَّى يجيءَ وَجْهَ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**».

فالوجه ثابت لله ﷻ، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة كما دل على ذلك النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.



---

(١) «أصول الدين»، للبغدادي (ص ١٠٩)، وغاية المرام، للامدي (ص ١٤٠)، «ومقالات الإسلاميين» (١/ ٢٤٥-٢٤٨)

(١٨) بَابُ إِثْبَاتِ الصُّورَةِ لَهُ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِاللهِ الْجَارُودِيُّ قال: أخبرنا الطَّبَرَانِيُّ قال حدثَنَا الدَّبَرِيُّ ح قال: وأخبرنا يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَنَاحٍ قال: حدثَنَا إسحاق بن إِبْرَاهِيمَ قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ح قال: وأخبرنا أَبُو يَعْقُوبَ قال: حدثنا جدي قال: حدثَنَا حَاتِمٍ وَابْنِ مَحْبُوبٍ قال حدثَنَا سَلَمَةُ قَالُوا: حدثنا عَبْدُالرَّزَّاقِ قال: أخبرنا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدثنا أَبُوهريرة ﷺ أنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَلَقَ اللهُ آدَمَ ﷺ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا»[1].

الشَّرْح

ذكر المؤلف حديث أبي هريرة ﷺ، والإسناد فيه تحويل، قال: قال ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ ﷺ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**»، وفي لفظ: «**طوله في السماء ستون ذراعا**»، والحديث رواه البخاري ومسلم، فهو من أصح الأحاديث: «**طوله**» يعني: طول آدم ﷺ فأول ما خُلق آدم ﷺ طوله ستون ذراعًا فلم يزل الخلق ينقص حتى

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام (٦٢٢٧)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤١)، وتمام الحديث: «**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله**»، فزادوه: «**ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن**»، واللفظ للبخاري.

الآن فوصل إلى ما وصل إليه، والمؤمنون يدخلون الجنة على طول أبيهم آدم ﷺ ستون ذراعًا، وأما العرض فجاء في حديث رواه الإمام أحمد في مسنده أنه سبعة أذرع لكنه ضعيف[(١)].

○ قوله: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ ﷺ عَلَى صُورَتِهِ» فيه: إثبات الصورة، والصورة صفة من صفات الله كسائر الصفات، كما نثبت له السمع، والبصر، والعلم، والقدرة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم: ٢].

والمراد: إثبات الصورة لله ﷻ على وجه لا يماثله أحدٌ من خلقه، وكل موجود له صورة قائم عليها، والله تعالى هو أكمل الموجودات، فإذا قلت أنه موجود لا صورة له نفيته، فلا يوجد موجود إلا له صورة، والله ﷻ له صورة.

وبهذا يتبين أن هذه الترجمة صحيحة، وأن الحديث من أصح الأحاديث، وفيه: إثبات الصورة لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته.

وقد أشكل مرجع الضمير قوله في الحديث: «عَلَى صُورَتِهِ»؟

● **الجواب**: مرجع الضمير فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن مرجع الضمير إلى المضروب، ويكون هذا من باب التشبيه المقلوب؛ لأن هذا الحديث له سبب قال ﷺ: «إِذَا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ، (٢/ ٢٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف، (٧/ ٣٥)، وأبو نعيم في صفة الجنة، (٢/ ٩٩)، والطبراني في الأوسط، (٥/ ٣١٨)، والصغير، (٢/ ٧٥)، وأبو الشيخ في العظمة، (٣/ ١٠٩٦)، والبيهقي في البعث والنشور، (٤١٩)، قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن علي بن زيد إلا حماد بن سلمة ولا يروى عن أبي هريرة ﷺ إلا بهذا الإسناد»، المعجم الأوسط (٥/ ٣١٨)، وقال ابن القيم: «قيل تفرد به حماد عن علي بن زيد»، حادي الأرواح، (ص ٢٠٢).

قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»(١)، أي: على صورة المضروب، فيكون هذا من باب التشبيه المقلوب، لأن الأصل أن يشبه المضروب بآدم، وهنا شبه آدم بالمضروب، فتشبيهه تشبيه مقلوب، **وهذا القول باطل.**

القول الثاني: أن الضمير يعود إلى آدم، أي: خلق الله آدم على صورة آدم، وهذا أيضًا باطل، وهو قول الجهمية، قال أبو طالب: سمعت أبا عبدالله يقول: «من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي» وأيُّ صورة كانت لآدم قبل أن يُخلق؟!(٢).

القول الثالث: أنه يعود إلى الله، وهذا هو الصواب، ويدل عليه الرواية الصحيحة التي هي «**لا تقبحوا الوجوه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن**»(٣)، معنى الحديث: إثبات الصورة لله ﷻ،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٦١٢).

(٢) انظر: «الإبانة الكبرى»، لابن بطة (٧/ ٢٦٧)، و«إبطال التأويلاوت»، لأبي يعلى (٧٥، ٨٨).

(٣) جاء هذا الحديث من طريقتين:

١- الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقبحوا...**» أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، (١/ ٢٢٨)، واللفظ له، وعبدالله ابن الإمام أحمد في السنة، (١/ ٢٦٨)، وابن خزيمة في التوحيد، (١/ ٨٥)، والطبراني في المعجم الكبير، (١٢/ ٤٣٠)، والدارقطني في الصفات، (٤٨)، والإبانة الكبرى لابن بطة، (٧/ ٢٦٠، ٢٤٤)، والأسماء والصفات للبيهقي، (٢/ ٦٤)، وقد علله ابن خزيمة من ثلاثة أوجه، التوحيد، (١/ ٨٦)، وصححه الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وشيخ الإسلام ابن تيمية، وذكر أن هذا الحديث روي من طريقيتن وأن أدنى أحواله الحسن، تلبيس الجهمية، (٦/ ٤٤٣، ٤١٨)، وانظر: فتح الباري لابن حجر، (٥/ ١٨٣)، وقال ابن حجر عن إسناده: رجاله ثقات، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسماعيل الطالقاني، وهو ثقة وفيه ضعف» مجمع الزوائد، (٨/ ١٠٦). =

وهذا يقتضي نوعًا من المشابهة، وهو المشابهة في مطلق الصورة، لا في الجنس ولا في المقدار، فمن رأى القمر في الماء، يقول: هذه صورة القمر فهل الصورة التي للقمر نفس الصورة التي في السماء؟ نعم الصورة هي، لكن تختلف، فالقمر الذي في السماء مقداره عظيم وذاته مختلفة، أما الصورة التي في الماء فشكل فقط.

وأشكل هذا على بعض العلماء حتى على بعض أئمة السنة، كالإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة فقد غلط في هذا، فقال في كتابه التوحيد: «**لا تَغْلَطُوا ولا تَغَالَطُوا فتظلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال**»(١) يعني: ظن أن فيه إثبات التشبيه، فقال بنفي الصورة، وهذا معدود من غلطاته ﷺ، وقد رد عليه شيخ الإسلام بن تيمية ﷺ في كتابه العظيم «بيان تلبيس الجهمية في بدعهم الكلامية»، وتكلم على حديث الصورة، وأطال في هذا(٢)، فتحرر إثبات الصورة لله ﷻ، وأنَّ إنكار الصورة هو قول الجهمية، وأما ابن خزيمة فهو إمام، إلا أنه غلط في هذا، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ، ولكل جواد كبوة.

وشيخ الإسلام يرد في بيان تلبيس الجهمية على الرازي، والرازي معروف أنه من متأخري المعتزلة، وأنه انتقل إلى مذهب

= ٢- ابن لهيعة عن أبي يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن**»، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة، (١/ ٢٣٠)، واللفظ له، وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة، (٢/ ٥٣٦)، والدارقطني في الصفات، (٤٩) وفيه: الأعرج، بدل: سليم بن جبير.

(١) «التوحيد»، لابن خزيمة، (١/ ٨٤).

(٢) انظر: (٦/ ٣٥٥) وما بعدها.

الجهمية، ولكنه تاب في آخر حياته، وترحم عليه شيخ الإسلام رحمه الله.

وذكر الحافظ ابن حجر أن هذه الرواية صحيحة[1] فالحديث فيه: إثبات الصورة لله كما يليق بجلاله وعظمته، والصورة كسائر الصفات كالسمع، والبصر، والكلام، وغيرها.



(١) «فتح الباري» (٥/ ١٨٣)، (١١/ ٣).
انظر: «إثبات الصورة لله تعالى»، فقد لخصت هناك كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

(١٩) بَابُ إِثْبَاتِ الْعَيْنَيْنِ لَهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ

قال: حَدَّثَنَا الْحَاكِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ الأَزْدِيُّ الْإِمَامُ إِمْلاءً قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْمَاطِيُّ قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُوالْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ شُعْبَةَ ح قال حدثنا أَحْمَدُ بْنُ حَمْدَانَ قال: أخبرنا حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الأَشَجُّ قال: حدثنا دَاوُدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قال: حدثنا شُعْبَةُ ح قال: وأخبرنا عَبْدُالْجَبَّارِ قال: حدثنا ابْنُ مَحْبُوبٍ قال: حدثنا أَبُوعِيسَى قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قال: حدثنا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ أنه قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر» لَفْظُ غُنْدَرٍ(١).

الشَّرْح

ذكرالمؤلف رحمه الله حديث أنس بن مالك ﷺ «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، والحديث من أصح الأحاديث رواه الشيخان البخاري ومسلم، وذكر المؤلف بالسند، والحديث فيه: إثبات العينين لله ﷻ، **ووجه الدلالة:** أن النبي ﷺ، قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم (٧١٣١)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم (١٦٩).

الْكَذَّابَ» وهو الدجال «أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ»، والأعور هو الذي ليس له إلا عين واحدة «وَإِنَّ رَبَّكُمْ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» فالدجال أعور ليس له إلا عين، والله سبحانه ليس بأعور بل له عينان سليمتان، فدل على ثبوت العينين لله ﷻ، ولا أعلم دليلاً يدل على إثبات العينين لله غير هذا الحديث.

وأما قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٤]، فهذا فيه: إثبات الرؤية لله ﷻ، ولا يثبت لله عدد من العيون؛ لأن المراد التعظيم هنا فجمع العيون، وأتى بضمير الجمع ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ يعني: بمرأى منا، وقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩]، المراد جنس العين.

فهذا الحديث هو الوحيد الذي فيه: إثبات العينين لله ﷻ، وهو من أصح الأحاديث، وقد دل على إثبات العينين لله ﷻ، وهذا واضح لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة.



(٢٠) بَابُ إِثْبَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِلَّهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عمار الإمام قال: أخبرنا ابن جناح قال: حدثَنَا إِسْحَاقُ ح قال: وأخبرنا ابْنُ الْفَضْلِ الزَّاهِدُ قال: أخبرنا مُحَمَّدُ ابْنُ الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ قال أخبرنا جَدِّي قالا حدثَنَا أبي المقبري قال: حدثنَا أَبِي قال: حدثنَا حَرْمَلَةُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨]، وَوَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقرؤهَا وَيَضَع إصبعين عَلَيْهِمَا، لَفْظُ ابْنِ خُزَيْمَةَ[1].

الشَّرْح

ذكر المؤلف ﷺ هذا الحديث بالسند الطويل، وهو حديث يونس بن جبير قال: سمعت أبا هريرة ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء ٥٨]، ووضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه، فالنبي ﷺ لما قرأ هذه

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، رقم (٤٧٢٨)، ابن حبان، رقم (٢٦٥) والحاكم، رقم (٦٤)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٤٣).

الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ وضع الإبهام على الأذن والسبابة على العين، وقال: «**هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقرؤهَا وَيَضَع إصبعين عَلَيْهِمَا**» وهذا الحديث حديث صحيح.

وفي الحديث والآية الكريمة: إثبات السمع، والبصر لله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ فالدليل يؤخذ من الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾.

وأبو هريرة ﷺ لما قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ وضع إبهامه على أذنه، والسبابة على عينه، وقال: «**هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقرؤهَا وَيَضَع إصبعين عَلَيْهِمَا**»، قال العلماء: المراد مِن وَضْعِ إبهامه على أذنه، والسبابة على عينه، تحقيق الصفة، وليس المراد: التشبيه، فأراد أن الصفة حقيقية، وأما من أشار وأراد التشبيه فهذا باطل؛ لأنه مشبه، ومثله ما ورد في الحديث أن النبي ﷺ أشار بأصبعه، وهو على المنبر، فإذا أشار وأراد التشبيه، فهذا باطل، فالله تعالى لا يُشبه أحدًا من خلقه لا في سمعه، ولا في بصره، ولا في غيره.

فهذه الآية الكريمة، وهذا الحديث فيهما:

١- إثبات اسم السميع، وأن الله من أسمائه السميع، فيُعبّد، ويقال: عبد السميع.

٢- إثبات اسم البصير، فيعبّد ويقال: عبد البصير.

٣- أن السمع والبصر، صفتان حقيقتان، فليستا مجازًا، فالإشارة لتحقيق الصفة.

فهاهنا إثبات اسم السميع، واسم البصير، وصفة السمع وصفة البصر؛ لأن كل اسم مشتمل على صفة، فأسماء الله مشتقة ليست

جامدة.

٤- الرد على من أنكر صفة السمع والبصر، والمعتزلة والجهمية، وأما الأشاعرة فيثبونها لأنها الصفات السبع - وهي: السمع، والبصر، والحياة، والكلام، والعلم، والقدرة والإرادة - التي يثبتها الأشاعرة، وأما بقية الصفات فيأولونها، وأما المعتزلة فلا يثبتون شيئًا من الصفات، وإنما يثبتون الأسماء بزعمهم، فيثبتون الأسماء فقط دون ما تتضمنه من المعاني والصفات. ويقولون: سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وهذا باطل، والجهمية ينكرون الأسماء والصفات، فالحديث والآية فيهما الرد على المعتزلة والجهمية.



(٢١) بَابُ إِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ السَّمْعَانِيُّ قال: أخبرنا مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ الْقُرَشِيُّ قال: حدثنا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِي قال: حدثنا عَبْدُاللهِ بْنُ صَالِحٍ قال: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عَنْ جَرِيرٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَال: «إِنَّ آدَمَ عليه السلام كَانَ يُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِ الْمَلائِكَةِ وَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِمْ حِينَ هَبَطَ إِلَى الأَرْضِ لِطُولِهِ وَقُرْبِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَوَضَعَ اللهُ يده عَلَيْهِ فطأطأه إِلَى الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا»[1].

الشَّرْح

اليدان ثابتتان لله ﷻ في القرآن العظيم، وفي الأحاديث الصحيحة، فمن الأدلة في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فيه: إثبات اليدين لله، وأن لله يدين اثنتين، وفي خطاب الله لإبليس ﴿قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥]، فيه: إثبات اليدين لله ﷻ، وفيه: الرد على من تأول اليد، وأنكرها من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فالأشاعرة يفسرون اليد بالنعمة، قال تعالى: ﴿۞ تَبَٰرَكَ

(١) في إسناده: عبدالرحمن بن أحمد السمعاني مجهول الحال، قال المحقق: وفي لفظ الحديث غرابة، وفي رجال الإسناد المترجم لهم من هو كثير الغلط فالحديث غير صحيح، بل هو بالوضع أشبه.

﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١]، قالوا: المراد باليد: النعمة! فإذا قيل لهم: فبماذا تفسرون قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾؟ قالوا: بنعمتي؟! فنقول: نعم الله كثيرة ليست اثنتين، فإذا فسرت اليد بالنعمة فسد المعنى، فتفسيرها بالنعمة باطل.

فاليد ثابتة في القرآن العظيم، وفي السنة النبوية قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] قال تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص: ٧٥]، وفي السنة الحديث الصحيح: «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين**»(١)، وقوله ﷺ: «**إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض**»(٢).

أما هذا الحديث الذي ذكره المؤلف فهو ضعيف، ومن العجائب أن المؤلف يأتي بالأحاديث الضعيفة، ويترك الآيات، والأحاديث الصحيحة!، لكن اليدين ثابتة لله، ففي هذا الحديث أن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض كان يسبح بتسبيح الملائكة، ويصلي بصلاتهم؛ لطوله البالغ ذراعًا فهو قريب من السماء.

○ قوله: «**فَوَضَعَ اللهُ يَده عَلَيْهِ فطأطأه إِلَى الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا**» هذا ضعيف وفي متنه نكارة! كيف يكون آدم أهبط إلى الأرض،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، رقم (٧٤١٩) واللفظ له، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (٩٩٣).

ويصل إلى السماء! وطوله ستون ذراعًا، وفي سنده ضعف، فالحديث رواه ابن سعد في الطبقات من طريق عفان بن مسلم، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف[١]، فالمقصود أن الحديث ضعيف.

والشاهد من الحديث قوله: «**وضع الله يده**» فيه: إثبات اليد الواحدة، أما الترجمة فصحيحة فيها إثبات اليدين لله ﷻ، وقد دل عليها نصوص من الكتاب والأحاديث الصحيحة كما تقدم.



(١) «تهذيب التهذيب» (٧/ ٣٢٢).

(٢٢) بَابُ إِثْبَاتِ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام بِيَديهِ

قال: أخبرنَا مُحَمَّد بن عَليّ البتبي قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قال: حدثَنَا محمد قال حدثنا عُثْمَان بن سعيد الدَّارِمِي قال: حدثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قال: حدثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ عَنْ عَبْدِاللهِ ابْنِ بريده عَن يحيى بن معمر وَحميد بن عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال وأخبرنا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قال حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قُرَيْشٍ قال حدثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ قال: أخبرنا الْقَعْنَبِيُّ فِيمَا قَرَأَ عَلَى مَالِكٍ وَيَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال وأخبرنا عَلِيُّ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيُّ قال أخبرنا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى قال أخبرنا الْحسن بن سعيد قال حدثَنَا أَبُوبَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال حدثَنَا شَرِيكٌ عَنْ أَبِي هَارُون هذا اسْمُهُ عُمَارَةُ بْنُ جُوَيْنٍ الْعَبْدِيُّ بَصْرِيٌّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ» لَفْظُ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ.

الشَّرْح

خلْقُ الله لآدم بيديه ثابت في القرآن العظيم، وفي السنة الصحيحة عن رسول الله، من ذلك: خطاب الله ﷻ لإبليس، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص: ٧٥]، فالآية صريحة في أن الله خلق آدم بيده، وهذا فيه تشريف لآدم وتفضيله على سائر المخلوقات، فالمخلوقات خلقها

الله بكلمة «كن»، وآدم ﷺ خلقه الله بيده، فهذا تشريف لآدم ﷺ، وكذلك الحديث الذي ذكره المؤلف ﷺ، والشاهد قوله: «وخلقك الله بيده» وهو مخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«الْتَقَى آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى لِآدَمَ: أَنْتَ الَّذِي أَشْقَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ، وَاصْطَفَاكَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَجَدْتَهَا كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»**[1] أي: غلبه في الحجة، فموسى ﷺ لام آدم على المصيبة التي لحقته بخروجه من الجنة وذريته، وآدم احتج على المصيبة بالقدر، والاحتجاج على القدر بالمصائب جائز، لكن الممنوع أن تحتج على المعصية بالقدر، فالقدر ليس بحجة على المعصية؛ فلذلك غلب آدمُ موسى بالحجة ـ وسيأتي بسط للمسألة ـ.

وجاء في الحديث الصحيح أنَّ الملائكة قالوا: **«ربنا إنك آتيت بني آدم الدنيا يأكلون منها وينعمون فلم تعطنا ذلك فأعطنا في الآخرة، فقال: وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان»**[2] وهذا من أدلة تفضيل الأنبياء والصالحين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم (٦٦١٤)، ومسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٢).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره، واللفظ له، (٢/ ٣٠٤)، وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة، (٢/ ٤٦٩)، والطبراني في مسند الشاميين، (١/ ٢٩٨)، والأوسط، (٦/ ١٩٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، (١/ ٣٠٨)، قال الدارقطني: «يرويه عبدالمجيد بن أبي رواد عن معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عمر، واختلف عنه في رفعة أسنده عنه عبيدالله بن محمد الغزاري، وخالفه سريج بن يونس فرواه عنه موقوفاً، والموقوف أصح»، والعلل (١٢/ ٤١٣). وقال البيهقي: «في ثبوته نظر»، شعب الإيمان، (١/ ٣٠٨)، =

والبشر على الملائكة وهذه المسألة خلافية بين أهل العلم(١).

وجاء أيضاً في حديث الشفاعة أن الناس يقولون لآدم عليه السلام: **«يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة...»**(٢) فخلْقُ اللهِ لآدمَ بيده ثابت في القرآن العظيم وثابت في الحديث الصحيح، أما الحديث الذي ذكره المؤلف رحمه الله، فإسناده ضعيف، وهو من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: عمارة بن جوين، وأبو هارون العبدي البصري، فهو ضعيف، لكن يغني عنه الحديث الصحيح المتقدم والآيات الكريمة.



= وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح وكان الحميدي يتكلم في عبدالمجيد، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويروي المنكرات عن المشاهير فاستحق الترك»، العلل، لابن الجوزي (١/ ٣٦)، وقال ابن تيمية: «روى هذا عبدالله بن أحمد في كتاب السنة عن النبي ﷺ بإسناد مرسل والمرسل يصلح للاعتقاد بلا نزاع» بغية المرتاد (ص ٢٢٥)، وقال أيضاً: (ثبت بالإسناد الذي على شرط الصحيح عن عبدالله بن عمر»، بغية المرتاد، (ص ٢٢٤)، وقال الذهبي: «إسناد صالح» العلو (ص ٨٢)، وقال عنه ابن القيم «مشهور» الصواعق المرسلة، (١/ ٢٧١)، وقال ابن كثير: «رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً وهو أصح» البداية والنهاية (١/ ١٢٧).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٥٢-٣٥٤) و«البداية والنهاية» (١/ ٥٤)، و«بدائع الفوائد»، (٣/ ١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله الله ﷻ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧١]، رقم (٣٣٤٠)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٤).

(٢٣) بَاب خلق الله ﷻ الفردوس بِيَدِهِ

قال: حَدثنَا الإمام عُثْمَان بْنُ إِبْرَاهِيمَ إِمْلاءً قال: أخبرنا أَحْمَدُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ قال حدثنَا إِسْمَاعِيلُ قال: حدثَنَا (أَبُو يَحْيَى الْعَالِي) قال حدثنا أَحْمَدُ بن عَمْرو بن السَّرْج قال وأخبرنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُور ابن الْحُسَيْن بن العالي قال حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَافِظ بإسرائيل قال: حدثنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ سَعْدِ بِمِصْرَ قال: حدثَنَا أَحْمد بن عَمْرو بن السَّرْج قال حدثَنَا خَالِي عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِالْحَمِيدِ الْمَهْرِيُّ أَبُو الرَّجَاءِ الْمِصْرِيُّ قال: حدثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عَنْ دَاوُودَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الْفِرْدَوْسَ وَحَظَرَهَا عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ وَمُدْمِنِ خَمْرٍ سِكِّيرٍ»[(١)].

الشَّرْح

قال المؤلف ﷺ تعالى في الباب الثالث والعشرين من هذه الرسالة، باب خلق الله ﷻ الفردوس بيده، الفردوس هو أعلى منزلة في الجنة، فأعلى درجة في الجنة هي الفردوس كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن»**[(٢)] أي: سقفه عرش الرحمن،

---

(١) أخرجه ابن منده في الرد على الجهمية (ص٧٧)، رقم (٥١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] (٧٤٢٣).

وهذا الحديث يدل على أن الجنة مقببة مستديرة، وليست مربعة، ولا مسدسة؛ لأن المقبب المستدير هو الذي وسطه أعلاه، فلو كانت الجنة مربعة، أو مسدسة لما كان الوسط الأعلى، فالذي يكون وسطه أعلاه هو المقبب، فدل على أن الجنة مقببة مستديرة وأن وسطها أعلاها، بل وكذلك جميع الأفلاك مستديرة قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾ [الزُّمَر: ٥]، والتكوير: هو التدوير، قاله ابن عباس[(١)]، أما العرش فليس بمستدير، فإنه ثبت أن له قوائم؛ كما في الصحيحين: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش لا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور؟**»[(٢)]، وكلهما منقبة له ﷺ، فإذاً الجنة مخلوقة، ومن الأدلة على ذلك:

أولاً: النص، وهو قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**خلق الله جنة عدن بيده ثم قال لها تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون**»[(٣)].

ثانيًا: أن كل ما سوى الله مخلوق، والجنة سوى الله، والفردوس جزء من الجنة، وهو أعلاها، وأوسطها، فهو مخلوق.

فإذا الدليل على أن الفردوس مخلوق دليل أثري، ودليل نظري.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره، (٢/ ٥٢١) واللفظ له، وابن أبي حاتم، (٨/ ٢٤٥٢)، وأبو الشيخ في العظمة، (٤/ ١٢١١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا﴾ رقم (٣٣٩٨)، وفي لفظ عند مسلم «فإذا موسى باطش بجانب العرش»، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٧٣).

(٣) أخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»، رقم (٢٢٢) والطبراني في «الكبير»، رقم (١١٤٣٩)، و«الأوسط»، رقم (٧٣٨).

- والجنة والنار عند أهل السنة والجماعة مخلوقتان الآن، دائمتان لا تفنيان ولا تبيدان، خلافًا للمعتزلة الذين يقولون: إن الجنة والنار معدومتان الآن، ويخلقان يوم القيامة، وشبهتهم أن وجودهما الآن ولا جزاء عبث، والعبث محال على الله، وهذا من جهلهم وضلالهم.

والرد عليهم:

أولًا: النصوص دلت على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، قال الله عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤].

ثانيًا: أن النبي ﷺ دخل الجنة في ليلة المعراج، ورأى النار أيضًا[(١)].

ثالثًا: أنه لا يُسَلَّم لمن قال: أن وجودهما الآن عبث، وليس منهما فائدة بل فيهما فائدة، فأرواح المؤمنين تنعم في الجنة، فإذا مات المؤمن نقلت روحه إلى الجنة، ولها صلة بالجسد، والكافر إذا مات نقلت روحه للنار، ولها صلة بالجسد فليستا، معطلتين، والجنة فيها الحور، والولدان.

رابعًا: أن الله تعالى وعد المؤمنين وتوعد الكفار والعصاة، وكون الجنة والنار موجودتان، الآن يكون أبلغ في الزجر للعاصي، ويكون حاديا للمطيع.

والمؤلف رحمه الله ذكر الدليل على أن الله خلق الفردوس بيده هذا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء؟، رقم (٣٤٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم(١٦٢).

الحديث الذي ذكره بإسناد طويل، فبينه وبين النبي ﷺ ثلاثة عشرة رجلاً، والغالب أن الأسانيد الطويلة يكون فيها ضعف، وكلما قلّت الوسائط بين النبي ﷺ وبين المحدث كلما كان أقرب إلى الصحة، ولهذا كان العلماء والمحدثون يهتمون بالإسناد إذا كانت الوسائط قليلة، ويسمى: السند العالي، وهو الذي تقل فيه الوسائط والرجال بين المحدث وبين رسول الله ﷺ، والعلماء المحدثون يشتاقون إلى السند العالي، ويتوقون إليه؛ ولهذا قيل ليحيى بن معين في مرض موته: ما تشتهي، فقال: «سند عالي، وبيت خالي»[1] فهذا الذي يشتهيه المحدثون وتتوق نفوسهم إليه، والعلو سنة ماخبة قال الإمام أحمد: «طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف»[2] ولهذا جمع العلماء الثلاثيات في مؤلفات خاصة كثلاثيات البخاري، وثلاثيات مسند الإمام أحمد، يعني: بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة أشخاص، الصحابي، والتابعي، وتابعي التابعي، وإذا كثرت الوسائط كثر احتمال الخطأ، لأنه ما من راو من رجال الإسناد إلا والخطأ جائز عليه.

○ قوله: «إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الْفِرْدَوْسَ» يعني: جنة الفردوس، وهي كما سبق أعلى الجنة.

○ قوله: «وَحَظَرَهَا» يعني: منعها، وجاء لضمير بصيغة التأنيث؛ لأنه يعود إلى الجنة.

○ قوله: «عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ وَمُدْمِنِ خَمْرٍ سِكِّيرٍ» يعني: منعها على كل مشرك، ومدمن خمر سكير، وهذا الحديث ضعيف.

---

(١) «الغاية في شرح الهداية»، للسخاوي (ص ٧١).

(٢) انظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، للخطيب البغدادي (١/ ١٢٣)، و«مناقب الإمام أحمد»، لابن الجوزي (ص ٢٧٨).

والمؤلف ﷺ يأتي بأحاديث ضعيفة كثيرة، ويعدل عن الأحاديث الصحيحة، فهذا الحديث استدل به المؤلف ﷺ على أن الله تعالى خلق الفردوس بيده، وهو لا يدل على الترجمة، فالترجمة باب خلق الله ﷻ الفردوس بيده، والحديث: «**إن الله ﷻ خلق الفردوس وحظرها على كل مشرك ومدمن خمر**» فالحديث أولاً: ضعيف، وثانيًا: غير مطابق للترجمة، لكن الذي يدل على الترجمة الحديث المقدم: «**خلق الله جنة عدن بيده**» وهو حديث صحيح، وأيضًا دليل عام، قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، عندنا دليلان:

الدليل الأول: من القرآن: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، والجنة شيء، فهي مخلوقة، وهو دليل عام.

الدليل الثاني: من السنة، قوله ﷺ: «**خلق الله جنة عدن بيده**»، وهو دليل خاص.

فعلى كل حال المؤلف ﷺ ذكر الحديث بالسند، على طريقة المحدثين، ومن أسند فقد..

والخلاصة: أن الترجمة صحيحة، وقد دلت عليها نصوص غير ما ذكره المؤلف ﷺ كما تقدم.



(٢٤) بَابُ إِثْبَاتِ الْخَطِّ لِلَّهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الداري وَأَحْمَدُ بْنُ حَمْدَانَ، قَالا: حدثَنَا الشَّارِكِيُّ، قال: حدثنا أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ قال: حدثنا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ، قال: حدثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بن دِينَار قال: حدثنا طَاوُوس قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يحدث عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «احْتَجَّ مُوسَى وَآدَمُ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ أَبونَا خيبتنا وضيعتنا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ: فَقَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ ﷻ بِكَلامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، ثَلاثًا»(١).

الشَّرْح

○ قوله: «بَابُ إِثْبَاتِ الْخَطِّ للهِ ﷻ» الخط صفة من صفات الله الفعلية، **فصفات الله نوعان:**

النوع الأول: صفات ذاتية لا تنفك عن الباري سبحانه، كالعلم، والسمع، والبصر، والقدرة، والعزة، والعظمة، والكبرياء، والعلو، بمعنى: أن الله متصف بها في كل وقت، فلا يقال: أنه في وقت سميع، وفي وقت ليس بسميع، وفي وقت بصير، وفي وقت ليس ببصير، وفي وقت في العلو، وفي وقت في السفل، فهذه صفات ذاتية لا تنفك عن الله ﷻ.

---

(١) سبق تخريجه.

النوع الثاني: صفات فعلية تتعلق بالمشيئة والاختيار، وهي قديمة النوع حادثة الآحاد، فنوعها قديم، وآحادها حادثة، يفعلها الله تعالى بقدرته، والاختيار مثل: صفة الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، والنزول، والاستواء، والكتابة، والخط، والضحك، والرضا، والغضب، فهذه تسمى صفات فعلية تتعلق بالمشيئة، فيضحك ﷻ إذا شاء، ويخلق إذا شاء، ويريد إذا شاء، ويكتب إذا شاء، ويخط إذا شاء، وينزل إذا شاء ـ كما يليق بجلاله وعظمته ـ.

وهذا الباب معقود؛ لإثبات صفة الخط لله، وكذلك الكتابة، فالكتابة ثابتة في الحديث: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[1] فأخذ العلماء من هذا الحديث إثبات الكتابة لله ﷻ، قال الله تعالى لموسى ﷺ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وفي حديث أبي هريرة ﷺ الذي ذكره المؤلف: إثبات الخط لله، وهو حديث صحيح من أصح الأحاديث، والحديث له ألفاظ متعددة «**أَنْتَ أَبونَا خيبتنا وضيعتنا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ**» فموسى يلوم أباه آدم على الذنب؟ أم يلومه على المصيبة التي لحقت الذرية؟

• **الجواب**: يلومه على المصيبة التي لحقت الذرية بسبب الخروج من الجنة، ولا يلومه على الذنب؛ لأن الذنب تاب منه، ومن تاب عن الذنب فلا يلام؛ لأن من تاب تاب الله عليه.

○ قوله: «**فَقَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ ﷻ بِكَلامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٣).

بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ثَلاثًا» يعني: غلبه في الحجة، وما هو الشيء الذي احتج به آدم حتى غلبه؟

• **الجواب**: احتج آدم بالقدر على المصيبة، ولم يحتج بالقدر على المعصية؛ لأن القدر ليس بحجة على الذنب، ولو كان القدر حجة على المعصية؛ لكان حجة لقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح من الكفار، ولكن آدم احتج بالقدر على المصيبة، فلذلك غلب موسى في الحجة.

والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به إذا أصيب الإنسان بمصيبة يحتج بالقدر، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل، وهذا هو معناه، ولا يحتج بالقدر على الذنوب والمعاصي، وإنما يحتج بالقدر على المصائب، وهذا هو معنى قول أهل العلم: «القدر يحتج به في المصائب دون المعائب»[(١)]، أي: لا يحتج بالقدر المعائب ـ جمع عيب، وهو الذنب ـ فالذنب لا يحتج بالقدر على ارتكابه، فمن احتج به على الذنب فنقول له: والتوبة بقدر الله، ادفع قدر بقدر، لا تستسلم، فادفع السيئة الحسنة، والمطلوب من الإنسان أن يدفع قدره لا أن يستسلم، كما رُوي عن عبد القادر الجيلاني أنه قال «نازعت أقدار الحق بالحق للحق[(٢)]»

---

(١) انظر: «التدمرية» (ص٢٣١)، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص١٣٥)، و«مجموع الفتاوى» (٨/٧٧)، (٨/١٠٧-١١٠)، (٨/ ٢٣٨)، (٨/ ٣٠٤)، (٨/٤٥٤)، (١٠/ ١٦٠)، (١٠/ ٦٨٥)، (١١/ ٢٥٩)، و«شفاء العليل» (ص١٨)، قال في إيثار الحق على الخلق (ص ٢٨١): «وقد أجمع أهل الاسلام على أن القدر يتعزى به أهل المصائب ولا يحتج به في المعائب».

(٢) انظر «ابن تيمية في الفتاوى»، (٢/ ٤٥٨)، (٨/ ٣٠٦)، (٨/ ٥٤٧)، و«طريق الهجرتين» (١/ ٣٧)، و«مدارج السالكين» (١/ ٢١٧).

أي: نازعت أقدار الحق ـ وهو الله، إذ من أسماء الله الحق ـ بالحق ـ لا بالباطل ـ للحق ـ أي: لأجل الحق ـ، فالمسلم مأمور أن يفعل ما أمر الله به، ويدفع ما نهى الله عنه، وإن كانت أسبابه قد قدرت، فيدفع قدر الله بقدر الله[1]، وهذا هو الذي أمر الله به ورسوله[2].

ومن أدلة جواز الاحتجاج بالقدر على المصائب ما رواه عَبْدِاللهِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّام حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّام قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: فَقَالَ عُمَرُ ﷺ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّام، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلانِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ ﷺ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ﷺ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: لَو غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوكَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ وَإِنْ رَعَيْتَ

(١) «العبودية» (ص٥٥) و«مجموعة الرسائل والمسائل»، (١/ ١٦٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٥٨).

الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» قَالَ فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ[(١)].

فعمر ﷺ حمد الله أن وافق اجتهادُه الحديثَ، ورجع بالجيش، والشاهد من هذا أن الإنسان لا يخرج عن القدر في جميع الأحوال، فنحن نقول للعاصي الذي وقع في المعصية لا تحتج بالقدر ادفع قدر بقدر ادفع قدر المعصية بقدر الطاعة تب إلى الله أتبع السيئة الحسنة أتبع سيئة الذنب بحسنة التوبة.

○ قوله: «**قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً**» وقد جاء في الحديث الصحيح: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» فكيف الجمع بين هذين الحديثين ففي الأول: أن الله قدر عليه قبل أن يخلقه بأربعين سنة، وفي الثاني: أن الله كتب المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؟

● **الجواب**: أن الأول تقدير خاص، والثاني تقدير عام، فهو تقدير للقدر السابق، فالتقدير بالنسبة للإنسان أنواع:

١- التقدير العام.

٢- التقدير العمري، فكل إنسان يكتب عليه، وهو في بطن أمه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، باب ما يذكر في الطاعون، ومسلم، كتاب السلام (٢٢١٨).

بعد أن يمضي عليه أربعة أشهر رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.

٣- التقدير السنوي، ففي كل سنة في ليلة القدر يقدر الله ما يكون فيها من صحة، ومرض وسعادة، وشقاوة، وفقر، وغنى، وعز، وذل.

٤- التقدير اليومي، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩] يعز، ويذل، ويخفض، ويرفع، ويغني، ويفقر، ويسعد، ويشقي.



(٢٥) بَابُ أَخْذِ اللَّهِ صَدَقَةَ الْمُؤْمِنِ بِيَدِهِ

قال: أَخْبَرَنَا طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قال: أخبرنا حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قال: أخبرنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِالله، قال: حدثنا أَبُو نُعَيْمٍ، قال: أخبرنا سُفْيَانُ عَن عبدالله، قال: أخبرنا السَّائِبُ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ قَتَادَةَ الْمُحَارِبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ ﷻ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ» ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُاللهِ الجعفي، قال: أخبرنا صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ الْكِنَانِيُّ، قال: حدثنا أَحْمد ابن ملاعب الفاتني، قَالَ: حَدثنِي عَبْدُالصَّمَدِ وهو ابْنُ النُّعْمَانِ، قال: حدثَنَا عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ الْحُسَيْنِ عَن عَاصِم بن عبيد الله عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ عَنِ النَّبِي ﷺ مِثْلَهُ[1].

الشَّرْح

ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»[2]، والفلو: ولد الفرس.

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٢) من حديث عائشة ﷺ، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول، رقم (١٤١٠)، ومسلم، كتاب الزكاة (١٠١٤).

وفيه: أن الله تعالى يأخذ الصدقة بيده إذا تصدق.

وهذا فضل عظيم فيه فضل الصدقة، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين، وفي هذا الحديث فضل الصدقة من كسب طيب، ولا بد أن يكون ذلك عن إخلاص، ومتابعة النبي ﷺ، وهذا مأخوذ من النصوص الأخرى التي تدل على أن العبادة لابد فيها من الإخلاص، والمتابعة للنبي ﷺ.

وفي هذا الحديث: الحث على الصدقة، وفيه: إثبات اليد لله ﷻ، والرد على المعتزلة، والأشاعرة، والجهمية الذين أنكروا ثبوت اليدين لله ﷻ، وأولها الأشاعرة بالنعمة أوالقدرة.

أما هذا الحديث الذي ذكره المؤلف رحمه الله «**إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللهِ ﷻ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ**».

فهو حديث ضعيف، وأورده الغزالي في إحياء علوم الدين، قال العراقي في تخريجه: «أخرجه الدارقطني في الأفراد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال غريب من حديث عكرمة عنه، ورواه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف»[١] والأولى بالمؤلف رحمه الله أن يأتي بالحديث الصحيح المتقدم: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ**» أي: الصدقة «**ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ**» أي: يزيدها «**كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**» فيربي ولد الفرس حتى يكبر، وهذا فضل عظيم إذا تصدق بعدل تمرة، فهي تزيد، ويربيها الله حتى تكون مثل الجبل ـ أي:

---

(١) «المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» (ص ٢٥٦)، و«الحديث في البر والصلة»، للحسين بن حرب (٣٢٣)، و«المعجم الكبير»، للطبراني (٨٥٧١) و«الإبانة الكبرى»، لابن بطة (٢٢٣).

أجرها وثوابها ـ.

فهذا هو الحديث الذي ينبغي أن يأتي به المؤلف في هذه الترجمة؛ لكنه أتى بحديث ضعيف، ويكون هذا الحديث الضعيف شاهد للحديث الصحيح، والعمدة على الحديث الصحيح لا على الحديث الضعيف.



(٢٦) بَابُ إِثْبَاتِ الأَصَابِعِ للهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا حَمْدَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَيْنَ قال: أخبرنا هَارُونُ ابْنُ أَحْمَدَ قال: أَخْبَرَنَا أبو خَلِيفَةَ قال: حدثَنَا مُسَدَّدٌ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ يُونُسَ وَهِشَام والمعلى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ دَعْوَةٌ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوبِهَا: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂ يَا رَسُولَ اللهِ دَعْوَة أَرَاك تكْثر أَن تدعوبِهَا قَالَ: «مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَقَلبه بني أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ﷻ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أزاغه»[1].

الشَّرْح

الأصابع: جمع إصبع، وهي صفة ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وثبت في الحديث الصحيح الذي مر معنا في الباب الرابع: **«أن الله يوم القيامة يجعل السماوات على إصبع والأرضيين على إصبع والماء والثرى على إصبع والجبال على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن بيده فيقول أنا الملك أين ملوك الأرض»** وهذا حديث صحيح، وفيه: إثبات خمس أصابع لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، فللّه سبحانه أصابع لا تشبه أصابع المخلوق، وفي

(١) «السنة» لابن أبي عاصم (١/ ١٠٠) رقم (٢٢٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٩١) من طريق يونس قال ثنا حماد بن زيد به، وابن ماجه (١/ ٧٢)، وابن خزيمة في التوحيد من رواية النواس بن سمعان (ص٨٠).

الباب الرابع: **«باب إيجاب قبول صفات الله من كافة الخلق»** قال: **«جاء حبر من أهل الكتاب ﷺ فقال يا محمد إن الله يوم القيامة يضع السماوات على إصبع والأرضيين على إصبع والجبال على إصبع والثرى على إصبع ثم يهزهن ويقول أنا الملك»**، فالرواية التي بالباب الرابع[١] فيها أربعة أصابع، والرواية الأخرى خمسة أصابع وهي: **«وسائر الخلق على إصبع»**.

والحديث هذا رواه البخاري في صحيحه، وفيه: إثبات الأصابع، وكان الأولى بالمؤلف أن يأتي بهذا الحديث الصحيح، أما الحديث الذي ذكره المؤلف فهو ضعيف فيكون شاهد للحديث الصحيح، فهذا الحديث صحيح فيه: إثبات خمسة أصابع لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، وفيه: أن النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه تصديقًا لكلام الحبر من أحبار اليهود، وهناك أيضًا دليل آخر ثبت في صحيح مسلم فيه إثبات الأصابع، وهو قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: **«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»** قالت عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله إنك تكثر بأن تقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فهل تخاف فقال عليه الصلاة والسلام: **«وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقلب قلب عبد قلبه»** **«وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»** فيه: إثبات الأصابع، فهذان حديثان صحيحان، فالحديث الأول في صحيح البخاري، والحديث الثاني في صحيح مسلم[٢]، وكان ينبغي على المؤلف رحمه الله أن يأتي بهذين الحديثين،

(١) تقدم تخريجهما.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٤).

أما هذا الحديث الذي ذكره فهو ضعيف فيكون شاهد للحديثين السابقين، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دعوة كان رسول الله ﷺ يدعوبها: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله دعوة أراك تكثر تدعو بها قال: «مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَقَلبه بني أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ﷻ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزاغه» هذا الحديث رواه أحمد والنسائي في الكبرى، وبسند ضعيف؛ لأنه من رواية الحسن البصري عن عائشة رضي الله عنها، والحسن البصري لم يسمع من عائشة رضي الله عنها[1]، فيكون الحديث ضعيف للانقطاع، لكن يكون شاهد للحديثين السابقين، فالأصل الحديثان السابقان، وهذا شاهد.



(١) «تهذيب الكمال»، للمذي (٦/ ٩٧)، و«فتح الباري»، لابن حجر (١٠/ ٥٠٠).

(٢٧) بَابُ إِثْبَاتِ الضَّحِكِ للهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَعْفَرِيُّ، قال: حدثَنَا عَبْدُالْوَهَّابِ بْنُ الْحسن بِدِمَشْق، قال: أخبرنا ابْو حوض، قال: جدثنا مثرود قال: حدثَنَا ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «ضَحِكَ اللهُ تَعَالَى مِنْ رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ثُمَّ دَخَلا الْجَنَّةَ» قال الزهري ابن عيينة فيما معناه: «قتل مشرك مسلمًا ثم أسلم ثم مات»(١).

الشَّرْح

الضحك من الصفات الفعلية التي تتعلق بالمشيئة والإختيار، فهو سبحانه يضحك إذا شاء، كما أنه ينزل إلى السماء الدنيا متى شاء، ويخلق متى شاء، ويريد متى شاء، ويرضى متى شاء، ويغضب متى شاء، فهذا من الصفات الفعلية، **وضابط الصفة الفعلية**: أنها تتعلق بالمشيئة والاختيار، أما الصفات الذاتية فهي التي لا تنفك عن الباري، فلا نقول في صفة السمع: أنه يسمع في وقت دون وقت، فصفة السمع ملازمة لذات الرب لا تنفك عنه سبحانه، ومثله صفات الله: كالبصر، والعلم، والقدرة، والعزة، والعظمة، والكبرياء، والعلو، فكل هذه من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الباري، أما الضحك، والخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، والنزول،

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، رقم (٢٨٢٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٩٨٠).

والإستواء، والرضا، والغضب، فهي صفات فعلية تتعلق بالمشيئة والإختيار.

فهذا الباب فيه: إثبات الضحك لله ﷻ، وهذا الحديث ذكر فيه المؤلف حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**ضَحِكَ اللهُ تَعَالَى مِنْ رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ثُمَّ دَخَلا الْجَنَّةَ**»، وفي لفظ آخر: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة**» قال الزهري وابن عيينة في معناه: اقتتل رجلان في الجهاد في سبيل الله رجل يقاتل في سبيل الله يجاهد الكفار، فحمل عليه كافر، فقتله، ثم من الله على الكافر بالإسلام، فأسلم ثم مات، فدخل الجنة الأول شهيد، والثاني دخل الجنة؛ لأنه مات على الإسلام، فكلاهما يدخل الجنة القاتل والمقتول، المقتول شهيد مسلم قتل في المعركة، والقاتل كان كافرًا ثم أسلم ودخل الجنة، هذا معنى قول الزهري.

وفي الحديث: أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: هل يضحك ربنا؟ فقال ﷺ: «**لن نعدم من رب يضحك خيرًا**»[1] فنثبت الضحك لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، لا يشبه ضحك المخلوق، فالله تعالى لا يشبه المخلوق، يُوصف بالضحك، والعلم، والقدرة، والسمع، والغضب، والرضا كما يليق بجلاله وعظمته لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاتهم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى: ١١].



(١) أخرجه ابن ماجه، أبواب السنة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨١)، وأحمد (١٦١٨٧)، والحاكم في المستدرك (٨٦٨٣)، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨١٠).

(٢٨) بَابُ إِثْبَاتِ الْقَدَمِ للَّهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الصَّيْرَفِيُّ قال: حدثَنَا الأَصَمُّ قال: حدثَنَا حَمْدَانُ الْوَرَّاقُ قال: حدثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قال: حدثَنَا أَبَانٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ ﷺ أنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يلقى فِي النَّار فتقول هَل من مزِيد حَتَّى يُنزل رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولُ قَطْ قَط»[1].

الشَّرْح

ذكر المؤلف ﷺ في هذا الباب حديث أنس ﷺ وفيه: «**يلقى في النار**» يعني: من العصاة، والكفرة «**فلا تزال النار تقول هل من مزيد حتى ينزل رب العالمين فيها قدمه فتقول قط قط**»، واللفظ المعروف في هذا الحديث: «**لا تزال جهنم يلقى فيها**» يعني: من العصاة والكفرة «**وتقول: هل من مزيد، حتى يضع فيها رب العزة قدمه فيزل بعضها إلى بعض فتقول قط قط**»، وفي لفظ: «**تقول حسبي حسبي**»يكفيني يكفيني امتلأت، وهذا الحديث صحيح من أصح الأحاديث رواه البخاري ومسلم، وابن خزيمة من طرق عن قتادة عن أنس ﷺ، وفيه: إثبات القدم لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وفي لفظ آخر: «**حتى يضع الله فيها رجله**» كما سيأتي في الباب الذي

---

(١) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق ٣٠]، رقم (٤٨٤٨)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٤٨).

بعده، إذن الحديث صحيح وثابت، وفيه:

١- إثبات القدم لله ﷻ، وهو لا يشبه قدم المخلوق، بل كما يليق بجلاله وعظمته.

٢- إثبات النار، وأن الله أعدها للعصاة، والكفرة.



(٣٩) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْقَدَمَ هو الرِّجْل

قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَحْبُورِيُّ قال: حدثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ نُعَيْمٍ قال: حدثَنَا حَاتِمٌ قال: حدثنَا سَلَمَةُ قال: حدثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ قال: أخبرنا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَقَالَ فِيه: «حَتَّى يَضَعَ اللهُ ﷻ رِجْلَهُ فِيهَا فَتَقُولُ قَطْ قَطْ»[(١)].

الشَّرْح

ذكر المؤلف رحمه الله في هذا الباب حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وفيه: «**حَتَّى يَضَعَ اللهُ ﷻ رِجْلَهُ فِيهَا**» استدل بها المؤلف على أن الرجل هي القدم «**فَتَقُولُ قَطْ قَطْ**»، والمعنى: «**حسبي حسبي**» أي: يكفيني يكفيني هذا، والحديث السابق رواه البخاري، ومسلم، ووفي رواية لهما: «**حتى يضع فيها رب العزة قدمه**»، ففيه: إثبات القدم، والرجل لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته.



(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات: ٤]، رقم (٤٨٤٨)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٤٦).

(٣٠) بَابُ الْهَرْوَلَةِ للَّهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الصَّيْرفِيُّ، قال: حدثنا الأصم، قال: حدثنَا هَارُون بن سُلَيْمَانَ، قال: حدثنا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «قَالَ ﷻ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي وإن تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا وَإِنْ جَاءَنِي يمشي أتيته هَرْوَلَةً»[1].

الشَّرْح

ذكر المؤلف ﷺ في هذا الباب حديث أبي هريرة ﷺ، وهو حديث من أصح الأحاديث، والهرولة هي الإسراع في المشي، والحديث فيه: إثبات الهرولة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، وهي كسائر الصفات تثبت لله على ما يليق بجلاله وعظمته لا تشبه هرولة المخلوق كسائر الصفات، كما أن لله سمع، والمخلوق له سمع، والله تعالى لا يشبه المخلوق في السمع، والخالق له بصر، والمخلوق له بصر، والمخلوق له علم، والخالق له علم، والخالق له قدرة، والمخلوق له قدرة، والخالق يرضى، والمخلوق يرضى، والخالق يغضب، والمخلوق يغضب ـ كل ذلك كما يليق بجلاله الله

(١) أخرجه البخاري،كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، رقم (٧٤٠٥)

سبحانه ـ، فالخالق له الكمال بهذه الصفات، والمخلوق له ما يناسبه، وكذلك الهرولة، فالهرولة بالنسبة للمخلوق معروف ما هي، بأن يسرع في المشي، لكن بالنسبة للخالق لا ندري ما كيفيتها، فنثبتها للخالق كما يليق بجلاله وعظمته، كما أنه سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، وهو فوق العرش، ولانعلم الكيفية، فهو ينزل كما يليق بجلاله وعظمته، وكذلك الهرولة لا ندري كيفيتها، وإن كنا نعلم معناها، فالصفات معناها معلوم؛ لكن الكيفية مجهولة، وأخرج أبونعيم عن جعفر بن عبدالله قال: «كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبدالله قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥] كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته[1]، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت بعود في يده علاه الرحضاء - يعني: العرق - ثم رفع رأسه، ورمى بالعود، وقال: الكيف منه غير معقول، والإستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج»[2] وروي عن أم سلمة[3]

---

(١) جاء في لسان العرب (٣/٤٤٦): «وجد عليه في الغضب يُجِدُ، ويَجِدُ، وجدًا، ومَوْجِدَة، ووجدانًا غضب»، وفي حديث الإيمان: «إني سائلك فلا تجد عليّ أي لا تغضب من سؤالي».

(٢) «الحلية» (٦/ ٣٢٥،٣٢٦)، وأخرجه أيضًا الصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ١٨، ١٧) من طريق جعفر بن عبدالله عن مالك، وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٥١) من طريق عبدالله بن نافع عن مالك، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٠٨) من طريق عبدالله بن وهب عن مالك، وقد صححه الذهبي في «العلو» (ص ١٠٣)، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧): «إسناده جيد».

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٧)، وفي سنده محمد بن أشرس السلمي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس إسناده مما يعتمد عليه» انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥).

ومعنى أن الاستواء معلوم، أي: معنى الاستواء معلوم، فكيفية استواء المخلوق معلومة، فقولك: أنا استويت على الكرسي يعني جالس على الكرسي، لكن استواء الرب على العرش لا نعلم كيفيته، فالرب استوى على العرش، وهو غير محتاج للعرش فهو الحامل للعرش سبحانه بقوته، وقدرته أما المخلوق محتاج للكرسي، فلو سقط الكرسي سقط، أما الرب فلا يحتاج إلى عرش، ولهذا قال المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه: استواء الرب على العرش، كاستواء المخلوق على الدابة، وعلى الفلك، فلو سقطت الدابة سقط الراكب، ولو سقطت السفينة سقط الراكب، قالوا: فقياس ذلك لو سقط العرش لسقط الرب ـ تعالى الله عما يقولون ـ، فهؤلاء المشبهة كفرة، فمن شبه الله بخلقه كفر[١]، لكن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الرب استوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته لا نعلم كيفيته، وكذلك الهرولة لا نعلم كيفيتها كما يليق بجلال الله وعظمته، وبعض المؤولين يؤول هذا الحديث كالنووي ﷺ فيقول في المعنى: أن الله أسرع بالخير من العبد، وأن الله لا يقطع الثواب من العبد حتى يقطع العبد العمل[٢].

وأهل السنة والجماعة يثبتون الهرولة لله ﷻ، ويثبتون التقرب، قال: **«من تقرب مني شبرا تقربت منه»** ولا نعلم الكيفية، لكن نقول من ثمرة هذه الصفات أن الله أسرع بالخير من العبد، وأن الله لا يقطع الثواب من العبد حتى يقطع العبد العمل، هذا أثر الصفة،

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ١٦٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد السنة» (٢/ ٥٣٢).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٧/ ٩٨).

وليس هو الصفة، والنووي رَحِمَهُ اللَّهُ عالم ومحدث؛ لكنه غلط في تأويل بعض الصفات؛ لا عن عمد ولكنه عن حسن نية؛ ولأنه وغيره من العلماء الكبار كالحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، فطاحل نفعوا الأمة، ولكن لم يوفقوا في أثناء الطلب لمن ينشئهم على عقيدة أهل السنة والجماعة، فأولوا بعض الصفات ظنًا منهم أن هذا هوالحق، فالله يعفوعنا، وعنهم، ولذلك النووي قال: أن معنى «**من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا**» أن الله أسرع بالخير من العبد، وأن الله لا يقطع الثواب من العبد حتى يقطع العبد العمل، فنقول هذا أثر الصفة، وليس هو الصفة، مثل: الرحمة صفة من صفات الله ﷻ، ومن أثر هذه الصفة «الرحمة» أن الله تعالى يرحم عباده، وأمر برحمة الفقراء، والضعفاء، والمساكين، هذا هو أثر الصفة، والصفة تليق بالله ﷻ فكذلك هنا نقول هذه الصفة تليق بالله، ومن أثرها أن الله أسرع بالخير من العبد، وأن الله لا يقطع الثواب من العبد حتى يقطع العبد العمل، وهذا الحديث يسمى عند أهل العلم «حديث قدسي» وهو من كلام الله ﷻ لفظًا ومعنى لأن الرسول ﷺ نسبه إلى الله، وأضافه إلى الله وهو من كلام الله لفظًا ومعنى: مثل القرآن، فالقرآن: كلام الله لفظًا ومعنى، والحديث القدسي من كلام الله لفظًا ومعنى؛ لكن كلام الله يتفاضل، فالحديث القدسي يختلف عن القرآن، القرآن لا يمسه إلا المتوضئ، والحديث القدسي يمسه غير المتوضئ، والقرآن يتعبد بتلاوته، والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، والقرآن يقرأ في الصلاة، والحديث القدسي لا يقرأ في الصلاة، والقرآن معجزة بألفاظه ومعانيه، والحديث القدسي ليس معجزة وهكذا، فهومن كلام الله لفظاً ومعنى لكن له أحكام تختلف عنه.

❁ **تنبيه:**

القول بأن الحديث القدسي معناه من الله، مبنيٌّ على مذهب الأشاعرة في قولهم بأن الكلام إنما هو المعنى، واللفظ والحروف ليست من الكلام، ولهذا قالوا: إن القرآن كلام الله، فقالوا: أن القرآن معنى ولم يتكلم الله باللفظ ولا بالحروف، وقالوا: أن القرآن تكلم به جبريل، أو تكلم به محمد، ففهم المعنى، وأتى بالألفاظ من عنده، فقالوا: الله اضطر جبريل اضطرار ففهم المعنى القائم بنفسه، فعبر به بهذا القرآن، فجعلوا الرب أبكم لا يتكلم، وقالوا: لو قلنا أنه يتكلم بالصوت والحروف صارت حالة في ذاته، ومن قولهم أن الكلام: معنى قائم بنفسه، مثل العلم ليس بحرف ولا صوت، فقالوا: القرآن عبر به جبريل، وقالت طائفة أخرى: عبر به محمد، وقالت طائفة أخرى من الأشاعرة: أخذه جبريل من اللوح المحفوظ، ولم يسمعه من الله ولا كلمة واحدة، وهذا من أبطل الباطل، فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه حروفه ومعانيه سمعه جبرائيل من الله بحرف، وصوت، ثم نزل به على النبي ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] فهذا من أغلاط الأشاعرة، ويستدلون بقول الأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

قالوا: الكلام في القلب، وأما اللفظ فدليل عليه. **ويرد عليهم:**

أولاً: أننا لا نسلم أن هذا البيت للأخطل، فهو بيت مصنوع، ولا يوجد في ديوان الأخطل، ولا يعرف أنه من قول الأخطل.

ثانياً: لو سلمنا جدلا بصحة البيت، وأن الأخطل قاله، لكنه

قول واحد من أهل اللغة فلا يقبل حتى يوافقه أهل اللغة، وإذا كان حديث رسول الله ﷺ لا يقبل حتى يصح سنده وتعدل رواته ولا يكون شاذًا ولا معللًا، فكيف ببيت من الشعر لا يدرى من قاله؟! ولم يوافقه أهل اللغة فيكون شاذًا.

ثالثًا: سلمنا بصحة البيت وسلمنا نسبته إلى الأخطل، وسلمنا بقبول أهل اللغة له، لكن ليس مقصود الشاعر الكلام العاري عن الألفاظ والحروف والكلمات، بل مقصوده أن الكلام الحقيقي هو الذي يهيئه الإنسان في نفسه ويزنه بعقله قبل أن ينطق به، أما الكلام الذي يجري على اللسان بدون تروٍّ، وبدون نظر، فلا قيمة له.

رابعًا: سلمنا بصحة البيت، وأنه للأخطل، وسلمنا بموافقة أهل اللغة له، وسلمنا بأن المراد بالبيت الكلام النفسي العاري عن الحروف والألفاظ، لكنه قول نصراني، فالأخطل نصراني فهل نستدل بقول النصارى؟!

ومعلوم أنَّ النصارى ضلوا في معنى الكلام، فقالوا: إن عيسى نفس كلمة الله ـ أي: كلمة ﴿كُن﴾!

وأهل السنة يقولون: ليس هو نفس الكلمة، وإنما هو مخلوق بالكلمة ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

فالحديث الذي أورده المؤلف رحمه الله حديث القدسي، هو من كلام الله لفظًا ومعنى، مثله مثل حديث أبي ذر رضي الله عنه قال الله عز وجل: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا**»(١) حديث

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٧٧).

قدسي، وحديث: قال الله: «**أنا أغنى عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»(١) هذا من كلام الله لفظًا ومعنى، وأما غير الحديث القدسي من الأحاديث النبوية، مثل حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(٢) فهو من الله معنى، ومن الرسول لفظًا، والمعنى من الله وحي، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤] فهذا من كلام الله.

يقول الله: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني**» فيه: إثبات صفة المعية لله ﷻ، **والمعية نوعان:**

النوع الأول: معية عامة للمسلم والكافر، فالله مع الخلق كلهم في قدرته، ومشيئته، وإحاطته،تأتي في سياق المحاسبة، والجزاء قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [المجادلة: ٧].

النوع الثاني: معية خاصة بالمؤمن، وهي معية التوفيق والتسديد مثل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]، والأنبياء: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨] فهذه معية خاصة بالمؤمن، وهي معية تقتضي التوفيق، والتسديد، والنصر، والمعونة، والحفظ، والكلام، فالمعية الخاصة تأتي في سياق المدح، والثناء.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٥).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٥).

والحديث الذي ذكره المؤلف من المعية الخاصة التي تكون مع الداعي والذاكر.

ففي الحديث:

١- إثبات التقرب.

٢- إثبات الهرولة كما يليق بجلال الله وعظمته.



(٣١) بَابُ إِثبَاتِ نُزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدنيَا

قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الصَّيْرَفِيُّ، قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالله الصفار، قال: حدثَنَا بن أَبِي الدنيَا قال: حدثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ هِشَامٍ قال: حدثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ قال أخبرنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ سَمَّاعَة قال أخبرنا الأَوْزَاعِيّ قَالَ: حَدثني يحيى ابن أبي كثير حَدثنِي هِلَال بن أبي ميمونة أنه قَالَ حَدَّثَنِي عَطَاءُ ابْنُ يَسَارٍ قَالَ حَدَّثَنِي رِفَاعَةُ بْنُ عَرَابَةَ الْجُهَنِيُّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَو قَالَ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللهُ ﷻ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ لا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي من ذَا الَّذِي يسألني فَأُعْطِيَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِبُ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يستغفرني أَغفر لَهُ حَتَّى ينفتح الصُّبْحُ»[١].

الشَّرْح

في هذا الحديث «إثبات نزول الرب إلى السماء الدنيا»، ثابت في الأحاديث الصحيحة والأحاديث المتواترة، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: **«ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له حتى ينفجر الفجر»**[٢] فهو حديث عظيم ثابت

---

(١) أحمد في المسند (٤/ ١٦)، والآجري في «الشريعة» (ص٣١٠، ٣١١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٢)، والدارمي (١/ ٢٨٦) رقم (١٤٨٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨).

متواتر في الصحاح والسنن والمسانيد، وفيه: إثبات النزول لله ﷻ إلى السماء الدنيا كما يليق بجلاله وعظمته، ولا نسأل كيف ينزل، بل هو ينزل، ولا يعلم الكيف إلا الله، كما قال الإمام مالك: الإستواء معلوم، والكيف مجهول[(١)]، ويقال في جميع الصفات: الصفة معلومة، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. فهو سبحانه ينزل، وهو تعالى فوق السماء الدنيا ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته.

والنزول من الصفات الاختيارية، وهي التي يفعلها الله بمشيئته واختياره، فينزل إذا شاء سبحانه.

- **وأهل البدع أولوا صفة نزوله سبحانه،** فقال بعضهم: تنزل رحمته، وقال بعضهم: ينزل ملك!

الجواب عليهم: أن رحمة الله تنزل في كل وقت، ولا تنحصر في آخر الليل، والملك لا يستطيع أن يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فالملك مخلوق، والمخلوق لا يستطيع أن يقول هذا، بل هذا أبطل الباطل، وهذا الحديث بالسند الذي ذكره المؤلف فيه ضعف قال الرسول: **«إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَو قَالَ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللهُ ﷻ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ لا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي من ذَا الَّذِي يسألني فَأُعْطِيَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِبُ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يستغفرني أغفر لَهُ حَتَّى ينفتح الصُّبْحُ»** فالحديث بهذا اللفظ ضعيف رواه أحمد، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه لكن الحديث ثابت في الصحاح، والسنن، والمسانيد

---

(١) تقدم قريبا.

بهذا اللفظ: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**» ولا أدري لماذا المؤلف أتى بهذا السند الضعيف مع أن الحديث ثابت في الصحاح، والسنن، والمسانيد فهل المؤلف خفي عليه الإسناد الصحيح؟ أم أنه أراد أن يذكر هذا الحديث شاهدا للحديث الصحيح؟

كل هذا محتمل، فالمقصود أن العمدة على الحديث الصحيح، والحديث بلغ حد التواتر.



(٣٢) بَابُ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ ﷻ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ بِعَيْنَيْهِ رُؤْيَةَ يَقِظَةٍ

قال: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ الإِمَامُ قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ - هو محَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنَ خُزَيْمَةَ - أنه قَالَ: قال: وأخبرنا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ الشَّيْبَانِيُّ، قال: وأخبرنا مَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحَنَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي مَنْصُورُ بْنُ عَبْدِاللهِ، قال: حدثنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلِ ابْنِ حَمْدَوَيْهِ، قال: حدثنَا مَحْمُودُ بن آدم. ح قال: وأخبرنا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ، قال: حدثنَا النُّعَيْمِيُّ، قال: حدثنَا حَاتِمُ بْنُ مَحْبُوبٍ ح قال: وأخبرنا الإِمَامُ يحيى قال حدثنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، قال: أخبرنا جَدِّي، قَالَ: حدثنَا عبدالْجَبَّار بن الْعلاء، قَالَ: ابن خُزَيْمَة: وأخبرنا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيُّ، قَالُوا جَمِيعًا: حدثنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة، عَن عمر بن دِينَار، عن عِكْرِمَةَ أنه قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄ ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ» هَذَا لَفْظُ عَبْدِالْجَبَّارِ، وَزَادَ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ: «لَيْسَ رُؤْيَا مَنَامٍ»[(١)].

الشَّرْح

«بَابُ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ ﷻ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ بِعَيْنَيْهِ رُؤْيَةَ يَقِظَةٍ» درج

---

(١) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، رقم (٤٧١٦)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٠١، ٢٠٢) من طريق عبدالجبار بن مرة وسعيد بن عبدالرحمن المخزومي.

المؤلف بهذا الباب بأن النبي ﷺ رأى الله بعينيه في اليقظة لا في المنام ليلة المعراج، وليلة المعراج هي ليلة الإسراء التي أسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة، ثم عرج به إلى السماء، وقد جاء النبيَّ ﷺ ملكٌ، وشق صدره، وغسله مرتين مرة، وهو صغير[(١)]، ومرة قبل المعراج[(٢)]، وحشي إيمانًا، وعلمًا، وحكمة، وجاءه جبرائيل عليه الصلاة السلام بالبراق، جاءه في الليل في ليلة واحده، وهو في السجد الحرام، وأسري به من المسجد الحرام راكبًا البراق بصحبة جبريل، والبراق دابة فوق الحمار، ودون البغل، يعني: أكبر من الحمار، وأصغر من البغل، وسمي بالبراق؛ لبريقه، ولمعانه، وركبه اثنان جبريل، ومحمد ﷺ، وهذا البراق سريع المشي خطوته مد البصر، يضع حافره نهاية ما ينتهي بصرك إليه، ثم القفزة الثانية نهاية البصر، فقطع المسافة من مكة إلى الشام قرابة الساعة أو ساعة ونصف أو ساعتين، فهو قريب من سير الطائرة، ولما قطع المسافة، ووصل إلى المسجد الأقصى نزل منه، وربط البراق بحلقة الباب التي يربط بها الأنبياء، وجيء بالنبيين، وقدّم جبريلُ النبيَّ ﷺ، وصلى بهم - وقيل أن هذا قبل المعرج -، ثم أتي بالمعراج - والمعراج كهيئة السلم يصعد فيه - فصعد فيه النبي ﷺ وجبريل، حتى بلغا السماء الدنيا في وقت وجيز، فلما وصلا إلى باب السماء الدنيا استفتح جبريل

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٤)، ومسلم كتاب الإيمان، رقم (١٦١).

السماوات - فهي ليست مهملة، بل لها بوابون - فقال البواب: من؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: فنعْمِ المجيءُ جاء، ففتح لهما، فوجد فيها آدم عليه الصلاة والسلام، فسلم عليه النبي ﷺ، فقال آدم: مرحبًا بالنبي الصالح، والابن الصالح، ووجد عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة، إذا نظر إلى يمينه ضحك، وإذا نظر إلى يساره بكى - جاء في القصة أن الأسودة عن يمينه أرواح المؤمنين، والتي عن يساره أرواح الكفار، فإذا نظر إلى المؤمنين ضحك، وإذا نظر إلى الكفار بكى - ثم صعد إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل كما استفتح في الأولى، قيل: من؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح فوجد فيها ابني الخالة عيسى، ويحيى بن زكريا، فرحبا بالنبي ﷺ، وقالا له: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، ثم عرجا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: فنعْمِ المجيءُ جاء، ففتح فوجد فيها إدريس عليه الصلاة والسلام، فرحب به،وقال: مرحبًا بالنبي الصالح، والأخ الصالح، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟: قال محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، فوجد فيها يوسف عليه الصلاة والسلام، فرحب به قال: مرحبًا بالنبي الصالح، والأخ الصالح، ثم صعد إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، فوجد فيها هارون عليه الصلاة والسلام، فرحب به قال:

مرحبًا بالنبي الصالح، والأخ الصالح، ثم عرج إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل فقيل من؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل؟ وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، فوجد فيها موسى عليه الصلاة والسلام، فرحب به وقال: مرحبًا بالنبي الصالح، والأخ الصالح، فلما تجاوزه بكى موسى ﵇، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي؛ لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي ـ وبكاء موسى ﵇ ليس حسدًا، ولكن تألمًا لبني إسرائيل مع أن موسى ﵇ أتباعه كثيرون ـ فعرج إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: محمد، قال؟ ومن معك؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، وقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، فوجد فيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فرحب بالنبي ﷺ، وقال مرحبًا بالنبي الصالح، والابن الصالح ـ مثل ما قال آدم ـ ووجد إبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور ـ والبيت المعمور كعبة سماوية تحاذي الكعبة الأرضية لو سقط لسقط عليها، يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك للطواف والعبادة، ولا يعودون إليها إلى آخر الدهر ـ ثم تجاوز النبي ﷺ حتى وصل إلى سدرة المنتهى، فبلغ مكانا يسمع فيه صريف الأقلام ـ أقلام القدر ـ فكلمه الله ﷻ، وأوحى إليه، وسمع كلام الله من دون واسطة، ففرَض عليه ربُّ العزة والجلال الصلاةَ خمسين صلاة في اليوم والليلة، فرجع نبينا عليه الصلاة والسلام، ونزل إلى السماء السابعة، ثم إلى السماء السادسة فلقيه موسى ﵇، فقال له: ارجع إلى ربك، واسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق خمسين صلاة في اليوم والليلة، وإني عانيت بني إسرائيل أكثر من ذلك، فنظر النبي ﷺ إلى جبريل كأنه

يستشيره، فأشار إليه أيْ نعم، فعاد إلى الجبار جل جلاله، فسأله التخفيف، فوضع الله عشرًا - وفي رواية في الصحيحين أيضا: «**شطرها**» - وتكرر ذلك منه عليه الصلاة والسلام إذا رجع لموسى عليه السلام أشار عليه أن يرجع إلى الله ويسأل التخفيف، حتى بلغ خمس صلوات في اليوم والليلة، قال موسى عليه السلام: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فقال نبينا ﷺ: «**إني سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم**» فنادى مناد من السماء: «**أن أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، ما يبدل القول لدي، هي خمس في العدد وهي خمسون في الميزان والأجر**» خمس صلوات، والحسنة بعشر أمثالها هي خمس في العدد، وهي خمسون في الأجر، والثواب، هذه الكيفية في فرضية الصلاة تدل على عظم شأن الصلاة، وأن أمرها عظيم فهي مفروضية في السماء، وبدون واسطة، فكلم اللهُ النبيَّ ﷺ وفرض عليه الصلاة خمسون صلاة في اليوم والليلة، أما الصيام، والزكاة، والحج فهي مفروضة في الأرض، وبواسطة جبريل عليه السلام، ثم أيضًا الصلاة فرضت خمسين، ثم خففت لخمس صلوات كل هذا يدل على عظم شأن الصلاة، وأن أمرها عظيم، وخطرها جسيم، ولذلك صارت هي الفارق بين المسلم والكافر، وهي آخر ما يفقد به الدين، وليس بعد ذهابها إسلام، ولا دين - وفيه من الفوائد نسخ الحكم قبل التمكن من الفعل، ففرضت خمسين، ثم نسخت قبل أن يتمكن العباد من الفعل -.

ومسألة رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج فيها خلاف قوي بين أهل العلم، وهما قولان مشهوران:

القول الأول: أن النبي ﷺ رأى ربَّهُ بعين رأسه، رُوِيَ هذا عن

ابن عباس[(١)] والإمام أحمد[(٢)]، وأقرَّه جمع من أهل العلم، منهم: القاضي عياض[(٣)] والنووي[(٤)].

القول الثاني: أن النبي ﷺ لم يرَ ربَّهُ بعين رأسه، وإنما سمع كلامه من وراء حجاب، ورآه بعين قلبه ـ والرؤية بعين القلب تعني زيادة في العلم ـ.

وجماهير الصحابة على أن النبي ﷺ لم يرَ ربَّهُ ليلة المعراج[(٥)]، ومنهم: عائشة ﵂ في «الصحيحين»[(٦)] **عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ ﵂: «يَا أُمَّتَاهْ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟»، فَقَالَتْ: «لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ؛ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ؟!،**

---

(١) أخرج مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ [النجم: ١١-١٢] قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ».
قال ابن تيمية: «كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففَهِمَ منه رؤية العين». «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٠٩).
وقال ابن القيم: «وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرؤية» له إجماع الصحابة على أنه لم يرَ ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك، وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة؛ فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه». «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٢).

(٢) قال القاضي أبو يعلى: «والرواية الأولى أصح، وأنه رآه في تلك الليلة بعينيه». «إبطال التأويلات» (ص١١١).

(٣) قال: «والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضًا ولا نص؛ إذ المعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي ﷺ بذلك، وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يُسنِده إلى النبي ﷺ فيجب العمل باعتقاد مضمنه». انظر: كتاب «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٥٦).

(٤) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٣/ ٥).

(٥) حكى إجماع الصحابة على أنه لم يرَ ربه ليلة المعراج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرؤية». انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم (ص ١٢).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (١)، رقم (٤٨٥٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٧).

مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ [لقمان: ٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [المائدة: ٦٧] الْآيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ».

وهذا هو الصواب الذي عليه المُحقِّقون كشيخ الإسلام ابن تيمية[١] وغيره[٢]، ويجمع بينهما كما قال المُحقِّقون كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأن النصوص والآثار والأقوال لأهل العلم التي فيها أنه رآه تُحمل على أنه رآه بعين قلبه، والتي فيها أنه لم يره تُحمل على أنه لم يره بعين رأسه، وبذلك تجتمع الأدلة[٣].

والألفاظ الثابتة عن ابن عباس رضي الله عنهما هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: «رأى محمد ربَّهُ»، وتارة يقول: «رآه محمد»، ولم يثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما لفظ صريح بأنه رآه بعينه، وكذلك الإمام أحمد تارة يُطلق الرؤية، وتارة يقول : «رآه بفؤاده»، ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول: «رآه بعينه»[٤] فالصواب أن النبي ﷺ لم يرَ ربه بعين رأسه، والأدلة في هذا واضحة.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥١٠، ٥١١).
(٢) انظر: شرح «العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٢٤٨).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٠٩).
(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٠٩).

■ **مسألة: هل المعنى أن الله جعل لنبيه ﷺ عينين في قلبه؟**

● **الجواب**: لا، فالمعنى: أن الله تعالى جعل في قلبه ﷺ، يعني: زيادة علم، فهو رأى ربه بعين قلبه، وهذا هو الصواب الذي عليه المحققون، والجماهير، وهو قول عائشة رضي الله عنها ـ كما تقدم ـ ويدل على هذا القول:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ ومحمد ﷺ بشر ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ فيكون الرسول ﷺ سمع كلام الله من وراء حجاب، ولم يره.

٢- حديث أبي موسى الأشعري المتقدم الذي رواه الإمام مسلم من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟»، قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»[1] ومعناه: حجابه نور فكيف أراه؟!.

٣- ما رواه مسلم أيضا من حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ** ـ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ ـ **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[2]، أي: لو كشف الحجاب لاحترق الخلق، ومن ضمنهم محمد ﷺ؛ فهو من خلقه، فدلَّ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يرَ رَبَّهُ.

وأما الآية التي استدل بها المؤلف هنا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] فقد استدل بها لقول ابن عباس رضي الله عنهما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي رؤيا عين رآها رسول الله ﷺ ليلة أسري به، نقول: هذه التي رآها هي الآيات، وليست برهان أنه رأى ربه، فلوكان النبي رأى ربه بعين رأسه لذكرها الله فهي أهم من رؤية الآيات هذا هو الصواب الذي عليه المحققون.

والصواب أن الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، أسري به من بيت الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى السماء في ليلة واحدة، والصواب أن الإسراء والمعراج مرة واحدة يقظة لا منامًا، قال بعض العلماء: الإسراء في ليلة، والمعراج في ليلة، وهذا خلاف الصواب، فالصواب أنه في ليلة واحدة، وقال بعض العلماء: إن الإسراء، والمعراج في المنام لا في اليقظة، فأسري به وهو نائم، وقال بعض العلماء: أسري به بروحه لا بجسده، وقال بعض العلماء: إن الإسراء تكرر مرات مرة يقظة، ومرة منامًا، والصواب أن الإسراء والمعراج في ليلة واحدة يقظة لا منامًا مرة واحدة، **والخلاصة في هذا:**

أولاً: اتفق العلماء على أن الله تعالى لم يره أحد هو في الأرض، أما زعم بعض الصوفية الذين يقولون: إن الله يُرى في الأرض، وقول بعضهم: إذا رأيت خضرة في الأرض، فإنها فيها الله، فهؤلاء ملاحدة.

ثانيًا: أجمع العلماء على أن الله لم يره أحد من الخلق إلا نبينا ﷺ ليلة المعراج.

ثالثاً: أجمعوا على أن النبي ﷺ لم ير ربه في الأرض.

والمراد بالإسراء: السفر برسول الله ﷺ ليلاً على البراق بصحبة جبرائيل من مكة إلى بيت المقدس، والمراد بالمعراج: الذي

يصعد فيها، وهو كهيئة السلم، وهو صعود نبينا ﷺ من بيت المقدس إلى السماء[١]، والإسراء ذكره الله تعالى في كتابه العظيم قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١] ومن أنكر الإسراء بالنبي ﷺ كفر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله، وهو مكذب للقرآن، فيبين له أن الله تعالى أخبر عن الإسراء بعبده ونبيه ليلاً، فإذا علم ذلك، وأصر حكم بكفره؛ لأنه مكذب لله تعالى، وكذلك المعراج، والمعراج ثابت في الأحاديث الصحيحة البخاري ومسلم، وقد تلقتهم الأمة بالقبول وهما يفيدان العلم، ولهذا من أنكر كفر، والصواب كما سبق أن الإسراء، والمعراج في ليلة واحدة أسري به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس، فربط البراق من حلقة بباب المسجد التي يربط فيها الأنبياء، ثم جمع الأنبياء للنبي ﷺ، وصلى بهم إمامًا، فظهر فضله عليه الصلاة والسلام، ثم صعد، وعرج به إلى السماء، ولقي الأنبياء، كيف لقيهم وهم أموات؟!

• **الجواب**: أنه لقي أرواحهم، فالروح تأخذ شكل الجسد، فرأى موسى عليه السلام على هيئته، والروح لها شأن تختلف عن الإنسان، ولهذا لها صعود، وطيران بسرعة، فالنائم ينام وروحه بعيده، لكن إذا حركت رجلَه رجعت الروح بسرعة فانتبه، والنبيُّ ﷺ لما أُسري به مر بقبر موسى، فوجده قائمًا يصلي في قبره، فلما صعد إلى السماء وجده في السماء السادسة، فروحه التي تصعد، كما حقق أهل العلم[٢]، فكلهم رآهم ﷺ بأرواحهم إلا عيسى عليه السلام، فإنه رفع

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٢٠٣).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣ / ٢٠٣).

بجسده وروحه، فهو ﷺ حي لم يمت حتى الآن، وسينزل في آخر الزمان ويكون فردًا من أفراد الأمة المحمدية، ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، ثم يتوفاه الله الموتة التي كتب الله له، والصواب: أن الإسراء والمعراج بروحه، وجسده يقظة لا منامًا مرة واحدة، قال بعض العلماء: الإسراء إنما كان منامًا، وهذا قول ضعيف؛ لأنه لو كان الإسراء منامًا لما كذبته قريش، فقريش كذبت بالإسراء، وكذبت بالمعراج، واستعظموا هذا الأمر، وكذلك المعراج هناك من أنكره، فقالوا: كيف تعرج الأجسام والأجسام ثقيلة، والصعود يحتاج إلى أرواح خفيفة، فيجاب بأن الله على كل شيء قدير، ويقال لهم أيضًا: الملائكة أرواح، والأرواح خفيفة فكيف تهبط إلى الأرض، فالله على كل شيء قدير، والواجب على المسلم التسليم لله ولرسوله، ومن العلماء من قال: الإسراء بالروح،فأسري به بروحه فقط، وجسده لم يسر به، وقال بعض العلماء: الإسراء مرات مرة يقظة، ومرة منامًا، فالأقوال أربعة:

القول الأول: الإسراء منامًا.

القول الثاني: الإسراء بالروح.

القول الثالث: الإسراء وقع مرتين، مرة يقظة، ومرة منامًا.

القول الرابع ـ وهو الصواب ـ: وهو أن الإسراء والمعراج مرة واحدة، بجسده وروحه، يقظة لا منامًا[1].



(١) انظر: «جواب سؤال الرحبة»، لابن تيمية (ص١٢١)، و«زاد المعاد» (١/ ٩٩)، (٣/ ٩٢).

(٣٣) بَابُ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا

قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّنِّيُّ، قال: أخبرنا مُحَمَّد ابن إبراهيم بن نَافِع إِمْلاءً، قال: حدثَنَا مُوسَى بنُ هَارُونَ، قال: حدثنا خَلَفُ بنُ هِشَام، قال: حدثنَا أبوشهَاب الْحناط عَنْ إِسْمَاعِيلَ بنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسِ بنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرٍ ﷺ أنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لا تغتامون فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فَافْعَلُوا: ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]»[١].

الشَّرْح

«بَابُ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا» «عِيانًا» بكسر العين؛ لأنه مصدر عاين يعاين عيانًا، يعني معاينة بأعينهم يرونه بأعينهم، ذكر المؤلف ﷺ في هذا الباب حديث شريف لجرير بن عبدالله البجلي ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لا تغتامون فِي رُؤْيَتِهِ» وهذا الحديث جاء بألفاظ.

○ قوله: «لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» يُروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد بمعنى: لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النَّظر إليه؛

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٥٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢/ ١١٣) برقم (٦٣٣).

لوضوحه وظهوره، وأما التخفيف فهو من الضَّيْرِ، لُغَة في الضُّرِّ، والمعنى كالأول[١].

اللفظ الثاني: وفي لفظ: «**لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، يُروى بالتشديد والتخفيف، ويجوز في التاء وجهان: بالضم والفتح ـ تُفَاعِلون وتَتَفاعلون ـ فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض، وتزدحمون وقت النَّظر إليه، ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضَيمٌ في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض، والضَّيْمُ: الظُّلم[٢].

○ قوله: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فَافْعَلُوا: ثُمَّ قَرَأَ** ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [قٓ: ٣٩]» ورؤية المؤمنين لربهم ﷻ يوم القيامة عيانًا بأبصارهم ثابت في القرآن العظيم، وفي السنة المطهرة:

١- قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ﴿نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ من النضرة، وهي النعمة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ من النظر بالأبصار، والله تعالى أضاف النظر إلى الوجوه، وأخلى المقام من قرينة تنافي ذلك، فدل على أن المراد النظر بالعين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

٢- قول الله سبحانه عن الكفار ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] وقد استدل الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية على رؤية المؤمنين لربهم، **قال**: «وفي هذه الآية: دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ»[٣] وقال: «لَمَّا حجب قومًا بالسخط دل

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٨٢).
(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٠١).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٨٦).

على أن قومًا يرونه بالرضا»[(١)]، فانظر إلى دقة استنباطه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالله تعالى حجب الكفار فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] ولذلك المؤمنون ليسوا محجوبين، ولوكان المؤمنون محجوبون لتساووا هم والكفار، فدل على أنهم يرونه.

٣- قول الله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]، جاء تفسير المزيد بأنه النظر إلى وجه الله الكريم[(٢)]، وهو أعلى نعيم في الجنة.

٤- قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد ثبت في صحيح مسلم[(٣)] أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الحسنى الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ النظر إلى وجه الله الكريم.

٥- ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«إنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب»**[(٤)].

٦- ثبت في البخاري عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَافِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا**

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٦١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٥٨)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٣ / ٤٦٩) عن علي وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نص الحديث في الأدلة رقم٤ **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»**.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان (١٨١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٥٥٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٢).

رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»(١).

٧- حديث جرير بن عبدالله البجلي ﷺ الذي ذكره المؤلف ﷺ.

○ قوله: «**إنكم ترون ربكم كما ترون هذا**»، هذا تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس تشبيه للمرئي بالمرئي، فلا يُتوهم إرادة تشبيه الله بالقمر، فالله ﷻ لا يشبه أحدًا من مخلوقاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] والمعنى: أنكم ترون ربكم رؤية واضحة من فوقكم كما أنكم ترون القمر رؤية واضحة من فوقكم.

○ قوله: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فَافْعَلُوا**» الصلاة التي قبل طلوع الشمس هي: صلاة الفجر، والصلاة التي قبل غروب الشمس هي: صلاة العصر، وفي هذا: الحث على الصلاة قبل طلوع الشمس، وقبل الغروب، واستنبط منه أهل العلم: أن المحافظة على صلاة الفجر وصلاة العصر من أسباب رؤية الله والنظر إلى وجه الله الكريم، ولهذا قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ** ﷻ»، ثم قال: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فَافْعَلُوا**»، وهم البَردان وفي الحديث: «**من صلى البردين دخل الجنة**»(٢) فصلاة الفجر تقع في أول النهار، وصلاة العصر تقع في آخر النهار.

وقد أنكر أهل البدع رؤية الله ﷻ، فأنكر ذلك المعتزلة والجهمية، وقالوا: إن المراد بالرؤية: العلم ومعنى «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ومن دونهما جنتان رقم (٤٨٧٨)، ومسلم، كتاب الإيمان (٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم (٥٧٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٥).

رَبَّكُمْ» أي: أنكم تعلمون ربكم كما تعلمون أن القمر قمر، انظر إلى هذا المعنى الفاسد! والذي حملهم على ذلك عقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، التي أولوا بها النصوص، والعلماء أنكروا عليهم، وردوا عليهم، وبينوا بطلان هذا التأويل.

وهذه الصفات الثلاث صفة العلو، وصفة الكلام، وصفة الرؤية من الصفات التي اشتد النزاع فيها بين أهل السنة، وأهل البدعة، وهي من العلامات الفارقة بين أهل السنة وأهل البدعة، فمن أثبتها فهو من أهل السنة، ومن نفاها فهو من أهل البدعة.

ومن شُبه المعتزلة في إنكارهم للرؤية، قولهم: الذي يُرى لا بد أن يكون جسمًا، والله ليس بجسم، فلهذا أنكروا رؤية الله وأنكروا العلو أيضًا، وقالوا: لا يكون في جهة محددة إلا جسم، ولا يُرى إلا الجسم، ومآلهم: إنكار وجود الله.

ومن شُبههم قولهم في المراد بالرؤيا هنا: العلم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: ١] يعني: ألم تعلم، فقال أهل الحق: نحن لا ننكر أن الرؤية تأتي بمعنى العلم، وبمعنى: رؤيا المنام، وبمعنى: رؤية البصر، والسياق هو الذي يحدد هذا، فقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: ١] معلوم أن الرسول ﷺ ما حضر أصحاب الفيل، فعام الفيل هو العام الذي ولد فيه النبي ﷺ والمعنى: ألم تعلم يا محمد كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟ وكذلك رؤية المنام كقول النبي ﷺ: «**إني رأيت ربي في أحسن صورة**»[1] فالسياق هو الذي يحدد المعنى، وتأتي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، رقم (٤٦٧).

الرؤية بمعنى رؤية البصر، مثل: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ [النحل: ٧٩]، ومثل: قول النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ عِيَانًا» فهذا رؤية البصر.

وأما الأشاعرة فإنهم أثبتوا الرؤية، لكن أنكروا الجهة، فقالوا: إن الله يرى، لكن أين يرى؟ من فوق! قالوا: لا، من تحت! قالوا: لا، أمام! قالوا: لا، خلف! قالوا: لا، يمين! قالوا: لا، شمال! قالوا: لا، أين يرى! قالوا: يُرى لا في جهة، فأنكر عليهم أهل الحق، وبدّعوهم، وقالوا: كيف يُرى لا في جهة،فالرؤية لا بد أن تكون في جهة من الرائي، ولا بد أن يكون المرئي مباينًا للرائي مواجهًا له، فكونه يرى لا في جهة باطل، والأشاعرة في هذا مذبذبون بين أهل السنة، وبين المعتزلة، فهم مع المعتزلة في إنكار العلو، ومع أهل السنة في إثبات الرؤية، فعجزوا فسلكوا مسلكاً سوفسطائيًا، فقالوا: يُرى لا في جهة، فتسلط عليهم المعتزلة، وقالوا: كلامكم هذا غير معقول كيف يرى لا في جهة! يجب عليكم أن تنكروا الرؤية حتى تكونوا معنا، أو تثبتوا العلو حتى تكونوا أعداء لنا مثل أهل السنة، أما تبقوا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فهذا غير معقول.

أما صفة الكلام فقال المعتزلة: هو اللفظ والمعنى، ولكن كل منهما مخلوق، فاللفظ مخلوق والمعنى مخلوق.

وقال أهل السنة: اللفظ والمعنى كلام الله منزل غير مخلوق.

والأشاعرة بين بين، فقد قالوا: الكلام هو المعنى، فالمعنى كلام الله ليس بمخلوق.

واما اللفظ فمخلوق، ولهذا قال العلماء: هم كالخنثى لا أنثى،

ولا ذكر، فهم مع أهل السنة في جهة، ومع أهل البدعة في جهة، فالأشاعرة يثبتون الرؤية، وينكرون الجهة، أرادوا أن تكون يد مع المعتزلة، ويد مع أهل السنة، فعجزوا فسلكوا مسلكًا سوفسطائيًا، وهي الحجة المرائية التي توهم أنها حجة، وليست بحجة، والمؤمنون يرون الله، وأهل الحق أثبتوا أنهم يرون ربهم في موقف القيامة، ويرونه في الجنة، فهم يرونه في موقف القيامة كما ثبت في الأحاديث أربع مرات يرونه في موقف القيامة، والله تعالى جعل بينهم وبين العلامة كشف الساق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢] فيرونه أولاً ﷻ، ثم يرونه مرة ثانية في غير الصورة التي رأوه فيها أولاً فينكرون، ثم يرونه في الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيسجدون له، وذلك أن بقية الكفرة يساقون إلى النار، وتبقى هذه الأمة فيها المنافقون، فأهل السنة إذا رأوه أول مرة ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ سجدوا له، فيريد المنافقون أن يسجدوا، فيجعل الله ظهر كل أحد منهم طبقة واحدة، فلا يستطيعون السجود قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢]، ثم إذا رفعوا رؤوسهم رأوه المرة الرابعة في الصورة التي رأوه فيها أول مرة.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يرون ربهم يوم القيامة، وفي الجنة، ولهذا قال بعض العلماء في رده على المعتزلة: أنكروا الرؤية فحري بهم ألا يروه يوم القيامة، وأن يحرموا من رؤيته كما أنكروها ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.



(٣٤) باب رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ ﷻ فِي الْجَنَّةِ

قال: حَدَّثَنَا الْحَاكِمُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ الأَزْدِيُّ، قال: أخبرنا أَبُو إِسْحَاقَ الْقَرَّابُ، قال: أخبرنا أَبُو يَعْلَى، قال: حدثنا حَوْثَرَةُ ابن أشرس، قال: حدثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﷻ ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس ٢٦] قَالَ: الْحسنى الْجَنَّةُ وَالزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ ﷻ[1].

الشَّرْح

«بابُ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ ﷻ فِي الْجَنَّةِ» هذا الباب معقود لرؤية المؤمنين ربهم في الجنة، وذكر فيه حديث صهيب رضي الله عنه في تفسير آية يونس قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس ٢٦] قال: الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله ﷻ، وهذا الحديث حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه، وفيه: أن النبي ﷺ فسر هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ففسر الحسنى بأنها الجنة، وفسر الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، فدل على أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة، والأدلة على أنهم يرونه في الجنة كثيرة منها هذه الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق ٣٥].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان (١٨١).

﴿لَهُم﴾: أي المؤمنون، ﴿مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾: جاء تفسير الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وبوب البخاري في صحيحه، قال: باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣][(١)]، وذكر الأحاديث في هذا، فالمؤمنون يرون ربهم في الجنة، وهم يتفاوتون في هذا على حسب أعمالهم، ودرجاتهم في الجنة؛ لأن المؤمنين في الجنة يصعدون في درجات، كل درجة عليا أعظم نعيم من الجنة التي تحتها، والنار دركات كل دركة سفلى أشد عذابًا من الدركة التي قبلها، فالمؤمنون يرون ربهم في الجنة، ويتفاوتون في هذا على حسب أعمالهم، منهم من يرى الله بكرة وعشية، نسأل الله الكريم من فضله، ومنهم من يراه كل جمعة، فالمؤمنون يرون ربهم في موقف القيامة، ويرونه في الجنة، أما الكفار فيحجبون عن الله قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥]، وفي رؤية الكفار لله في موقف القيامة ثلاث أقوال بين أهل العلم:

الأول: أنَّ الكفار يرونه في موقف القيامة، ثم يحتجب عنهم، فتكون هذه الرؤية عذاب عليهم، ومثال ذلك: السارق إذا أوتي به إلى ولي الأمر، ثم رآه، وقطع يده، أو جلده فإنه لايستفيد من هذه الرؤية، بل يستفيد العذاب.

الثاني: لا يراه إلا المؤمنون والمنافقون في موقف القيامة؛ لأن المنافقين كانوا مع المؤمنين في الدنيا فكانوا معهم في موقف القيامة، ثم بعد ذلك ينفصل المؤمنون عن المنافقين.

الثالث: لا يراه إلا المؤمنون.

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٢٧).

ومن أنكر رؤية الله للمؤمنين في الجنة كفر، هكذا قال جمهور السلف[١]، وثبت عن الإمام أحمد: أن من أنكر رؤية الله كفر[٢]، ولكن هذا الحكم إنما يكون حكم عام، فيقال: من أنكر رؤية الله فقد كفر، أما الشخص المعين فلان بن فلان لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، إذا ثبتت الشروط، وامتنعت الموانع، فقد يكون هذا الفعل كفر، لكن الشخص لا يكفر إلا إذا وجدت فيه الشروط، وانتفت الموانع.



(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٦)، (٦/ ٥٠٠).

(٢) أبو داود في «المسائل» (ص ٣٢٧)، وعنه الآجري في «الشريعة» (ص٢٥٥)، ورواه إسحاق بن إبراهيم النيسابوري في المسائل أيضاً (ص١٥٢)، وذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٥٩) من رواية المروذي، ومن رواية حنبل (١/ ١٤٥)، وانظر: «حادي الأرواح» (ص٣٢٩) وما بعدها.

(٣٥) بَابُ إِثْبَاتِ الْكَلامِ للهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ الْمُعَدَّلُ، قال: حدثَنَا ابنُ حَمْدَوَيْهِ، قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ الشَّامِيُّ، قال: أخبرنا أَبُو الصَّلْت، قال: حدثَنَا زِيَاد بن عبدالله البكاري، قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ قَالَ: عِنْد وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَمَنْ عِنْدَ اللهِ ﷻ الْكَلامَ»[1].

الشَّرْح

صفة الكلام لله ﷻ من الصفات التي أثبتها أهل السنة والجماعة لله ﷻ، وأنكرها أهل البدع، وهي من الصفات التي اشتد النزاع فيها بين أهل السنة، وأهل البدعة، وهي ثلاث صفات:

الصفة الأولى: صفة الكلام.

الصفة الثانية: صفة العلو.

الصفة الثالثة: صفة الرؤية.

وهي من العلامات الفارقة بين أهل السنة، وأهل البدع، فمن أثبتها فهومن أهل السنة، ومن أنكرها فهو من أهل البدع ولذلك الرؤية أنكرها الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة أثبتوا الرؤية لكن أنكروا الجهة، وصفة الكلام أنكرها الجهمية، وأنكرها المعتزلة، فقالوا: الكلام مخلوق، والأشاعرة أثبتوا نصف الكلام، فقالوا:

---

(١) انظر: «كنز العمال» (٧/ ٢٣٥).

الكلام نوعان: لفظ ومعنى، فاللفظ مخلوق، والمعنى غير مخلوق، والعلو أنكره الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، فهذه الصفات الثلاث من الصفات التي اشتد فيها النزاع بين أهل السنة، وأهل البدع، وهي من العلامات الفارقة بين أهل السنة، وأهل البدع.

أدلة صفة العلو ـ كما سبق ـ تزيد على ألف دليل[1]، ومع ذلك أنكرها أهل البدع، وصفة الكلام أدلته كثيرة لا تعد، ولا تحصى قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠] فقوله: ﴿قَالَ﴾ فيه: إثبات القول، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ [الشعراء: ١٠] وفيه: إثبات النداء، والنداء يكون من بُعد، ويلزمه الصوت، قال تعالى: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم: ٥٢] والنَّجِيُّ: هو الكلام من قرب.

ونصوص الوحي كلها فيها: إثبات الكلام لله ﷻ، والرسالات التي أنزلها الله على الأنبياء كلها بالكلام، فصفة الكلام أدلتها كثيرة جدًا، وكل نص فيه أن الله قال، أو تكلم، أو نادى، أو ناجى، أو أوحى، أو أنزل فهي في إثبات صفة الكلام لله، وقد نوّعها الله، فإنكارها إنكار للرسالات، وإنكار للوحي، فهي من أكثر الأدلة في ثبوت هذه الصفة لله ﷻ، ومع ذلك أنكرها أهل البدع:

فأنكرها الجهمية، وقالوا: الكلام اللفظ والمعنى مخلوق، فالله لم يتكلم بحرف وصوت.

والمعتزلة قالوا: كلام الله لفظ ومعنى وحرف وصوت، لكنه مخلوق في غيره، ويضاف إليه التشريف والتكريم.

---

(١) في الباب (١١).

والأشاعرة أثبتوا نصف الكلام، فقالوا: إن الكلام لفظ ومعنى اللفظ مخلوق والمعنى غير مخلوق، فالأشاعرة هم أقرب الطوائف إلى أهل السنة،ويسمون أنفسهم أهل السنة، وهي من الصفات السبع التي يثبتونها، وهي: الكلام والحياة والبصر والسمع والعلم والقدرة والإرادة، فالكلام من الصفات التي يثبتها الأشاعرة، لكن لم يثبتوها على وجهها، فقالوا: الكلام هو معنى قائم بالنفس لا يسمع، وليس بحرف، ولا صوت، وقالوا: إن الرب لا يسمع منه كلام ولا يستطيع أن يتكلم جعلوا الرب أبكم نعوذ بالله لا يستطيع الكلام، وشبهتهم في هذا قالوا: لوقلنا الكلام حرف وصوت ولفظ ومعنى، للزم بذلك حلول الحوادث في ذات الرب؛ لأن الأصوات حادثة والحروف حادثة، والألفاظ حادثة، فلو قلنا إن كلام الله لفظ ومعنى، للزم حلول الحوادث بذات الرب، هذه شبهتهم، ولكن يقال: إن هذا يلزم في المخلوق، أما الخالق فلا يلزم، فالخالق سبحانه يتكلم بلفظ ومعنى يليق بجلاله وعظمته.

فإذ قيل للأشاعرة: القرآن حروف وألفاظ، فما تقولون في القرآن؟ قالوا: القرآن هذا ليس من كلام الله؛لأن القرآن معنى وألفاظ، فالمعنى من الله، أما الألفاظ والحروف فمن جبريل، فقالوا: الله تعالى اضطر جبريل اضطرارًا، ففهم المعنى القائم بالنفس بنفسه، فعبر بهذا القرآن، فالرب ما يستطيع أن يتكلم عندهم بالصوت إنما الكلام معنى قائم بنفسه مثل العلم، فاضطر جبريل اضطراراً حتى فهم المعنى القائم بنفسه، ثم عبر بهذا القرآن، فالقرآن عبارة عبَّر به جبريل عليه السلام.

وقالت طائفة أخرى من الأشاعرة الذي عبر به محمد، واستدلت الطائفة الأولى بقوله تعالى في سورة التكوير ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ

رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] وهذا جبريل، واستدلت الطائفة الثانية بقوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٤١].

وقالت طائفة أخرى: جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، ولم يسمع من الله كلمة - هكذا قولهم -، ويقولون: إن القرآن المصحف الآن ليس ما فيه كلام الله، يسمى كلام الله مجازًا؛ لأنه تأدى به كلام الله، ولهذا فإن بعضهم لا يرى احترام المصحف فلو رميت المصحف لم يبالي؛ لأنه لا يوجد فيه كلام الله، فكلام الله معنى قائم بنفسه لا يسمع وليس بحرف ولا صوت، لكن هذا تأدى به كلام الله، فيسمى كلام الله مجازًا، وطائفة الأشاعرة يسمون أنفسهم أهل السنة، وهم أقرب الطوائف إلى السنة، وهذا مذهبهم في الكلام، وهم لا يثبتون إلا الإرادة الكونية، وينفون الإرادة الشرعية، وينكرون الأسباب والطبائع، ويقولون: إن العبد مجبور على أفعاله.

❁ **تنبيه:**

البعض يقول: أهل السنة ثلاث طوائف: الأشاعرة، والماتريدية، وأهل السنة، ويسمون الأشاعرة أهل السنة، فالأشاعرة صحيح أنهم الأقرب إلى أهل السنة، ويثبتون سبع صفات، لكنهم ليسوا من أهل السنة، هم من أهل السنة فيما وافقوا عليه أهل السنة، وليسوا من أهل السنة فيما خالفوا فيه أهل السنة.

وكلام الله دلت عليه نصوص كثيرة لا حصر لها، وهو معلوم عند أهل الدين بالضرورة، والمؤلف رحمه الله ذكر في هذا الباب حديث أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال عند وفاة النبي ﷺ: «**فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَمَنْ عِنْدَ اللهِ عز وجل الْكَلَامَ**» وهذا الحديث له شواهد، كما في صحيح مسلم

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ. فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ - فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا[(١)]، والمؤلف رحمه الله ذكر هذا الحديث في إثبات الكلام مع أن الأدلة كثيرة مثل: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء: ١٠]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾ [المائدة: ١١٦]، وفي الصحيحين من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**»[(٢)] وتكليمه لأهل الجنة وغيرها من الأدلة التي لا حصر لها.

○ قوله: «**فَقَدْنَا الْوَحْيَ**»: والوحي إنما يكون بالكلام، فجبريل ينزل بالوحي من عند الله تعالى، فيسمع كلام الله، وينزل به على محمد ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، لكن ليت أن المؤلف رحمه الله أتى بالنصوص الواضحة.



(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٥٤).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٢٢).

(٣٦) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللهِ ﷻ غَيْرُ مَخْلُوقٍ

قال: أخبرنَا أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ قال: حدثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابنُ مُحَمَّدٍ ح قال: أخبرنا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ بْنِ عَبْدِهِ قال: حدثَنَا الإِدْرِيسِيُّ قَالا: حدثَنَا أَبُو مُسلم قال: حدثَنَا أبوعَاصِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ رِفَاعَةَ عَن سُهَيْلٍ ح وَأَخْبرنِي الْعَزِيز بن الْمُخْتَار قال: حدثَنَا سُهَيْلٍ ح قال: وحدثنا الْقَاضِي أَبُو مَنْصُور قال: حدثَنَا هَارُونُ بنُ أَحْمَدَ قال حدثَنَا عَلِيُّ بن الْعَبَّاس البجلي، قال: حدثَنَا إِبْرَاهِيمُ بنُ يُوسُفَ الْحَضْرَمِيُّ ح وحدثنا مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الْجَارُودِيُّ إِمْلاءً، قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِاللهِ الْقُرَشِيُّ قال حدثَنَا مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ قال: حدثَنَا إِسْمَاعِيلُ بنُ بهْرَام جار كريب الْكِلَانِيُّ الْكُوفِيُّ قَالا: حدثَنَا الأَشْجَعِيُّ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ سُهَيلِ ابن أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «من قال حِينَ تَغِيبُ الشَّمْسُ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لم يضرّهُ من ليله شَيْءٌ»(١).

الشَّرْح

عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله أنه منزل غير مخلوق،

---

(١) أخرجه بلفظه الطبراني في الأوسط، رقم (٢٦٤٤)، وفي الدعاء له (٣٤٨)، وأخرجه بنحوه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧٠٩)، بلفظ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ» والترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (٣٦٠٤)، بلفظ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، وحسنه.

منه بدأ وإليه يعود، وكلام الله صفة من صفاته، والله تعالى هو الخالق بذاته وأسمائه وصفاته، وأما ما سواه فمخلوق، والأدلة على أن كلام الله غير مخلوق أدلة كثيرة لا حصر لها منها:

١- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢] فأخبر ﷻ بأنه الخالق، والله اسمه الشريف، الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله هو الخالق، وغيره مخلوق

٢- قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤] ﴿تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ مصدر، قال العلماء: إذا جاء المصدر، فالمراد به التأكيد، ولا يمكن أن يقال: أنه مجاز لدفع المجاز، فلما جاءت ﴿تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ صار المراد به الكلام الحقيقي ولا يمكن أن يؤول، وكلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

٣- قوله سبحانه: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر: ١].

٤- قوله ﷻ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت: ٢] والتنزيل يكون من أعلى إلى أسفل قال: ﴿تَنزِيلٌ﴾ والمعنى: منزل.

٥- قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

٦- قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣] فقوله: ﴿مِنِّى﴾ فهذه كلها أدلة على إثبات كلام الله، وإثبات أن القرآن غير مخلوق.

وأما قول أهل السنة: «**منه بدأ**» يعني: تكلم الله به، و«**إليه يعود**» يعني: يوم القيامة، ففي آخر الزمان يعود إلى الله، وقد ظهرت أشراط الساعة المتوسطة، وبقي أشراط الساعة الكبرى التي تليها الساعة، وهي شبيهة بالعِقْد الذي فيه خرز إذا قُطع تتابعت الخرز،

ولم يخرج منها شيء حتى الآن، وهي:

العلامة الأولى: خروج المهدي، وهو رجل من آل البيت من نسل فاطمة، اسمه كاسم النبي ﷺ محمد بن عبدالله، وكنيته ككنيته، يملؤ الأرض عدلا كما ملئت جورًا، يُبَايَعُ له في وقت ليس للناس فيه إمام، والفتن تكثر في زمانه وتحصر الفتنُ الناسَ في الشام، وتحصل حروب طاحنة بين المسلمين والنصارى، ومن آخرها فتح القسطنطينية، وقد جاء في الحديث أن قتالهم يومئذ بالسيوف، كما في صحيح مسلم: «**فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ**»(١)، وهذا يدل والله أعلم أنه في ذلك الوقت لا توجد المخترعات الحديثة؛ لأنهم يقاتلون بالسيوف فلا يوجد قنابل، ولا صواريخ.

العلامة الثانية: خروج الدجال، وهو رجل من بني آدم أعور عينه اليمنى(٢)، يدعي الصلاح أولاً، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الألوهية، فيقول: أنا ربكم، يأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك(٣)، ومن فتنته: أن معه ماء ونارا، فأما

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٨٩٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٣٧).

الذي يراه الناس ماء، فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارا، فماء بارد عذب، قال ﷺ: «**فمن أدرك ذلك منكم، فليقع في الذي يراه نارا، فإنه ماء عذب طيب**»[(١)].

العلامة الثالثة: نزول عيسى بن مريم من السماء، ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، فيطلب المسيحُ عيسى بن مريم عليه السلام المسيح الدجال حتى يدركه بباب لد، فيقتله[(٢)].

العلامة الرابعة: وهي في زمان عيسى عليه السلام **خروج يأجوج ومأجوج**، ويتحصن نبي الله عيسى، ومن معه بجبال الطور.

فهذه أربعة علامات متتالية ومرتبة، وهي أول أشراطها أولاً المهدي، وفي زمانه يخرج الدجال، وفي زمانه يخرج عيسى بن مريم، وفي زمانه يخرج يأجوج ومأجوج، ثم تتوالى بقية أشراط الساعة.

العلامة الخامسة: الدخان، يملؤ الأرض، ويصيب المؤمنين كهيئة الزكام، ويؤذي الكافر، فيدخل في عينه وسمعه وبصره.

العلامة السادسة: نزع القرآن من الصدور ومن المصاحف، وهذه أول علامة، وهذا هو معنى ـ قول أهل السنة ـ منه بدأ وإليه يعود، فإذا كان في آخر الزمان نزع من الصدور والمصاحف، ويصبح الناس لا يجدون في صدورهم آية، ولا في مصاحفهم نعوذ بالله، وهذا من أعظم المصائب وهي السادسة.

العلامة السابعة: هدم الكعبة، يهدمها رجل من الحبشة، قال

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٣٥).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٨٩٧).

النبي ﷺ: «**كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا**»[١] وفي لفظ: «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصَيْلِع أُفَيْدِعَ، يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ**»[٢].

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها، في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾** [الأنعام: ١٥٨]»[٣] فإذا طلعت آمن الناس كلهم بالله، وإذا طلعت أغلق باب التوبة، وليس هناك إيمان جديد، فالمؤمن يبقى على إيمانه، والكافر يبقى على كفره.

العلامة التاسعة: خروج الدابة، وهي تَسِمُ المؤمنين سِمة بيضاء في جباههم، فتبيضُّ وجوهم، والكافر سمة سوداء فيسود بها وجهه.

والدابة وخروج الشمس من مغربها مقترنتين أيهما خرجت، فالأخرى على إثرها قريبة، إن خرجت الدابة قبل طلوع الشمس طلعت، وإن طلعت قبل خروج الدابة خرجت، وأبواب التوبة أغلقت، والمؤمن معروف، والكافر معروف، ويجلس الناس زمنًا يتبايعون في أسواقهم يعرف المؤمن من الكافر، فالكافر أسود الوجه، والمؤمن أبيض الوجه، وليس هناك إيمان جديد.

ثم في آخرها تأتي روح طيبة تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات فلا يبقى مؤمن في قلبه إيمان إلا قبضته حتى لودخل الإسلام قبضته،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب هدم الكعبة، رقم (١٥٩٥).
(٢) أخرجه أحمد (٧٠٥٣).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾، رقم (٤٦٣٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٥٧).

ثم بعد ذلك لا يبقى في الأرض إلا الكفرة وهم في ذلك حسن رزقهم، دار عيشهم.

العلامة العاشرة: خروج النار من قعر عدن، تسوق الناس إلى المحشر إلى أرض فلسطين تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا: فوقت النوم تقف حتى يبيت الناس، فإذا انتهوا من البيتوتة ساقت الناس، فوقت القيلولة تقف، فإذا فاقوا من القيلولة ساقت الناس، ومن تخلف أكلته.

تقوم الساعةُ على الكفرة والناس مشغولون في دنياهم، فهذا يلوط الحوض لإبله، وهذا يغرس فسيلة، وهذا يرفع اللقمة إلى فمه فتقوم عليهم، وذلك أن الله يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة الصعق وهي نفخة طويلة يكون أولها فزع وآخرها صعق وموت، ثم يموت الناس، فيمكثون أربعين، ثم يُنزل الله مطرًا تنبت منه أجساد الناس، ويعيد الله خلقهم من جديد ـ نفس نواة الإنسان يعيدها ـ فالذرات التي في السحاب يعيدها الله خلقًا جديدًا، فإذا تكامل خلق الناس أمر الله إسرافيل، فنفخ في الصور نفخة البعث، فتأتي الأرواح من مكانها وتتطاير وتدخل كل روح في جسدها، فيقوم الناس من قبورهم، حفاة ـ لا نعال عليهم ـ عراة ـ لا ثياب عليهم ـ غرلاً ـ غير مختونين ـ، ويقفون بين يدي رب العالمين للحساب والجزاء.

والشاهد من هذا قول أهل السنة «منه بدأ وإليه يعود» يعني: أن القرآن ينزع من الصدور والمصاحف في آخر الزمان إذا ترك الناس العمل به، وهو أحد أشراط الساعة الكبار.

وكلام الله منزل غير مخلوق، والأدلة في هذا كثيرة، لكن المؤلف اكتفى بدليل واحد، وهو قوله أن النبي ﷺ قال: **«من قال**

حِينَ تَغِيبُ الشَّمْسُ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لم يضرّهُ من ليله شَيْءٌ» هذا رواه الإمام مسلم، وفي صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك»[(١)] وكلمات الله نوعان:**

الأول: الكلمات الدينية الشرعية، كالقرآن، وكتب الله المنزلة.

الثاني: الكلمات الكونية، هي ما تكلم الله للشيء بقوله: «كن» فيكون، والكلمات التي لا يجاوزها شر، مثل قوله: **«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»** وفي الحديث الآخر: **«أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»[(٢)]** والكلمات التي لا يجاوزهما بر ولا فاجر هي الكلمات الكونية كقوله سبحانه للشيء كن فيكون، أما الكلمات الدينية والشرعية فيجاوزها الفاجر، فالقرآن من كلمات الله الدينية والله يقول: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣] والفاجر لا يقيم الصلاة فيتجاوزها، لكن الكلمات الكونية إذا قال الله كن للشيء فيكون، لا أحد يمتنع، ولا يجاوزها.

والدليل على أن كلام الله منزل غير مخلوق أدلة كثيرة من القرآن، ومن السنة، وكل آية يكون فيها تنزيل، فهي دليل على أن كلام الله منزل غير مخلوق، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣]، وقال تعالى: ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السّجدة: ١٣].



(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٧٠٠) ومالك (٣٥٠٠) والنسائي في الكبرى (١٠٧٢٦).

(٣٧) بَابُ بَيَانِ أَنَّ قَلْبَ الْمُؤمن سينشرح بِنُورِ الله

قال: أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بنُ الْعَبَّاسِ، قال: أخبرنا عُبَيْدُ بنُ مُحَمَّدٍ الدَّقَّاقُ بِبَغْدَادَ، قال: حدثَنَا الْفِرْيَانِي، قال: حدثنَا سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ الدِّمَشْقِيُّ ح وأخبرنا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بن النجم، قال: حدثَنَا الْحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ، قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بنُ الْمُسَيِّبِ، قال: حدثَنَا أَبُو عِيسَى، قَالا: حدثَنَا أَيُّوبُ بنُ سُوَيْد ح وأخبرنا عبدالْجَبَّار، قال: أخبرنا بن مَحْبُوب، قال: حدثَنَا أَبُو عِيسَى، قال: حدثَنَا الْحسن بن عَرَفَة، قال: حدثَنَا إِسْمَاعِيل بن عَبَاس ح وأخبرنا عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُكَتِّبُ وَغَيْرُهُ، قَالُوا: حدثنَا عَبْدُالرَّحْمَن ابن أَحْمد ثنَا ابن منيع، قال: حدثَنَا دَاوُدُ بنُ رشيد ثنَا إسماعيل ابن عَياش قَالَا: حدثنَا يَحْيَى بنُ أَبِي عَمْرٍو الشيْبَانِيُّ، وَقَالَ: سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ: حدثَنَا أَبُو زُرْعَةَ يحيى بن أبي عَمْرو السيباني، عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ الدَّيْلَمِيُّ، عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ عَمْرِو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى وَمَنْ أخطأه ضل فلذَلِكَ أَقُول جف الْقَلَم بما عَلِمَ اللهِ عز وجل»(١).

الشَّرْح

ذكر المؤلف رحمه الله في هذا الباب حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٢٦٤٢)، وحسنه، وصححه ابن حبان (٦١٦٩)، والحاكم (٨٣) وقال: (هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة، وقد احتجا بجميع رواته، ثم لم يخرجاه، ولا أعلم له علة)، ووافقه الذهبي.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى وَمَنْ أخطأه ضل فلذَلِك أَقُول جف الْقَلَم بما عَلِمَ اللهِ ﷻ**» هذا الحديث ضعيف، وفي سنده: يحيى ابن أبي عمر السيباني، قال فيه أبو حاتم وأبو زرعة: لم يسمع من ذي مخبر[1]، فإن بينهما عمرو بن عبدالله الحضرمي، فالحديث فيه ضعف، لكن قلب المؤمن ينشرح بنور الله دل على ذلك أدلة منها: قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزُّمَر: ٢٢] فالله تعالى يقذف النور في قلب المؤمن فينشرح صدره، فمن أراد الله هدايته هذا فضله وإحسانه ﷻ ومن خذله فإنه لا يقبل الحق، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقد يقال أن هذا الحديث، وإن كان ضعيف، لكن تشهد له الآيات الكريمات، وهذا توفيقه ﷻ وفضله، فأفضال الله تعالى على المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر، فحبب إليه أهل الإيمان وجعله يقبل الحق دون الباطل ويختاره وجعله راشدًا وزين الإيمان في قلبه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ﴾ [الحُجرَات: ٧-٨] هذا فضله وإحسانه ﷻ فعلى المؤمن أن يغتبط بهذه النعمة وأن يسأله الله الثبات على الإيمان، وأن يسأل

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٢٦٤٢).

الله أن ينور قلبه ويشرح صدره للإسلام، وقال سبحانه أيضًا: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ قال جمع المفسرين ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ في قلب المؤمن ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

۞ ما مناسبة هذا الباب لدلائل التوحيد؟

• **الجواب**: نقول إن المؤمن الذي شرح الله صدره للإسلام يقبل الحق، وينظر في الأدلة، فيوفقه الله في النظر إلى الأدلة، ويستدل بها على الحق، فتكون الأدلة مقبولة واضحة أمامه، ومن خذله الله، فلا يرى الأدلة، ولا يبصرها، ولا يوفق لقبولها، فمن شرح الله صدره، وأنار قلبه قَبِل بالحق، وعرف الدلائل على توحيد الله ﷻ، واستدل بها على قدرة الله، ووحدانيته، واستحقاقه للعبادة، وأنه المعبود بالحق، وأنه له الكمال في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فبهذا تتضح مناسبة هذا الباب لدلائل التوحيد.



(٣٨) بَابُ الانتِهَاءِ عَنِ التَّعَمُّقِ فِي صِفَاتِ اللَّه ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا الإِمَامُ عُمَرُ بنُ إِبْرَاهِيمَ، قال: أخبرنا بِشْرٌ عن أَحْمَدَ، قال: حدثَنَا الْهَيْثَمُ بنُ خَلَفٍ، قال: حدثَنَا بِشْرُ بنُ الْوَلِيدِ ح وحدثنا مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِاللهِ بنِ مَحْمُودٍ، قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ ابنُ الْعَبَّاسِ الْعُصْمِيُّ، قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بنُ مُعَاذٍ أن الْفِرْيَابِيّ حَدثني ح وأخبرنا عُمَرُ بنُ إِبْرَاهِيمَ، قال: أخبرنا عَبْدُالله بن عمر الجويري، قال: حدثَنَا أَحْمد بن مُحَمَّد الكشميهني، قال: أخبرنا الْفِرْيَابِيُّ، قال: حدثَنَا عَلِيُّ بنُ ثَابت، قال: حدثَنَا الْوَازِع بن نَافِعٍ عَنْ سَالِمِ بنِ عَبْدِاللهِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ أن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللهِ ﷻ وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ ﷻ»[(١)].

﴿ الشَّرْح ﴾

التعمق هو حين يجاوز الإنسان حد النظر، فيزيد في التأمل، ويتجاوز الحد له ـ من الاستدلال والتأمل في صفات الله تعالى ووحدانيته ـ، فيتقعر ويتعمق حتى يكون عنده غلو.

والنهي عن التعمق في صفات الله استدل له المؤلف بحديث سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه عبد الله بن عمر عن النبي ﷺأنه قال: «**تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللهِ ﷻ وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ ﷻ**» **التفكر** هو التأمل، والنظر، و«**آلاءِ اللهِ**» يعني: مخلوقات الله، «**وَلا تَفَكَّرُوا فِي**

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٦٢) رقم (١١٩)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢/ ١٧٤).

الله ﷻ» يعني: في ذات الله، ففيه الأمر بالتفكر في المخلوقات، والنهي عن التفكر في ذات الله ﷻ تفكر في مخلوقات الله يعني في السماوات والأرضيين، ويدل على ذلك الأدلة الكثيرة قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١] ومن الآيات التي تدل على قوة الله ووحدانيته ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل: ٦٩] قال تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: ٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [يونس: ٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] إذن هذه النصوص من كتاب الله ﷻ فيها التفكر، والتأمل، والنظر في مخلوقات الله، والإستدلال بذلك على قدرة الله ووحدانيته، تأمل في هذه السماء العظيمة وكذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٦ ١٧] والأدلة كثيرة من كتاب الله فيها التفكر، والتأمل، والنظر في مخلوقات الله، والإستدلال بها على قدرة الله، ووحدانيته، وذكر الله في أكثر من موضع من القرآن قوله: ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الجاثية ٤]، وفي آية آل

عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وأولي الألباب أصحاب العقول السليمة التي أرشدتهم عقولهم إلى النظر، والتأمل في مخلوقات الله، والاستدال بها على قدرة الله ووحدانيته، وأما التفكر في ذات الله، فإن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بالله، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، وكذلك لا يستطيع أن يحيط بصفاته لكن يتأمل في صفات الله ﷻ، أما التفكر في ذات الله فلا، ولكن هذا الحديث الذي ذكره المؤلف قال: «**تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللهِ ﷻ وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ ﷻ**» هذا الحديث ضعيف؛ قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن سالم إلا الوازع تفرد به علي بن ثابت[(١)]، وأورده الهيثمي وقال: فيه الوازع ابن نافع وهو متروك[(٢)].

وهذا الحديث فيه: الأمر بالتفكر في مخلوقات الله، والنظر، والتفكر في آيات الله، لكن يشهد له في التفكر في مخلوقات الله الآيات التي سبقت، فكلها تشهد له، وقد يقال أن الحديث كان ضعيف، لكن يكون حسنًا بالشواهد التي فيها الحث على التفكر بمخلوقات الله، والنظر فيها، والتأمل قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١] و﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ١١]، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ

---

(١) قال ابن عدي: «عامة ما يرويه وازع عن شيوخه بالأسانيد التي يرويها غير محفوظة» الكامل في الضعفاء (٨/ ٣٨٣).

(٢) «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١/ ٨١).

وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ أي: دلالات ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١]، فهذه النصوص فيها الأمر بالتفكر، والحديث فيه التفكر بآلاء الله فهو موافق للآيات، لكن الجزء الثاني قال: «**وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ** ﷻ» نعم قد يشهد له قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠] فلا أحد يحيط بالله، ولا يمكن أن تتصور صفات الله، وكل ما يدور في خيالك وذهنك فالله فوق ذلك، والله ليس مماثلاً لما يدور في خيالك، وما يدور في ذهنك، فلا تستطيع أن تعلم حقيقة صفات الله، ولا أن تعلم حقيقة ذات الله، وإنما حسبك أن تتأمل آيات الله الكونية، وتتأمل في صفات الله وتستدل بها على قدرة الله ووحدانيته قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، فكل شيء وسع رحمة وعلمًا، وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي الصحيحين: «**أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ**»(١)، وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ،**

---

(١) أخرجه البخاري كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام ٩١]، رقم (٤٨١١)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٦).

وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ»(١)، وفيهما أيضا: «**وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْفَيْضُ، أَوِ الْقَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**»(٢) وفي لفظ: «**وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»(٣) ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: «**ما السماوات السبع والأرضون السبع في يد الرحمن إلا خردلة في يد أحدكم**»(٤) الخردلة: الحبة صغيرة.

والمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة، ويدهشون، ولهذا في أول مرة ينكرون إذا رأوه من الدهش الذي أصابهم من عظمة الله ﷻ، كما في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا**

---

(١) أخرجه البخاري كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُمَر: ٦٧]، رقم (٤٨١٢)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله وكان عرشه على الماء، رقم (٤٦٨٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صَ ٧٥]، رقم (٧٤١١).

(٤) سبق تخريجه.

رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ»[1]، وأنت الآن ترى السماء لكن لا تحيط بها، ولا ترى أطرافها، وترى الجبال من مسافة ساعات لكن لا تحيط بها، فإذا كان المخلوق لا تحيط به فكيف يحيط الإنسان بالله، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

فالحديث الذي أورده المؤلف ﷺ ضعيف، ولكن تشهد له النصوص التي فيها الأمر بالتفكر في مخلوقات الله، والاستدلال بها على قدرة الله، ووحدانيته، والتفكر في ذات الله وعظمته سبحانه في صفاته ﷻ.



(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٥٧٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٢).

(٣٩) بَاب الرَّد على مستحل الْكَلامِ الْمُجَادِلِينَ فِي اللهِ ﷻ

قال: أَخْبَرَنَا عبدالله بن عَبْدُالْجَبَّارِ، قال: حدثَنَا مُحَمَّد بن أحمد بنِ مَحْبُوبٍ، قال: حدثَنَا أَبُو عِيسَى، قال: حدثَنَا عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ، قال: حدثَنَا مُحَمَّدُ بنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ وَيَعْلَى بنُ عُبَيْدٍ عَنْ حَجَّاجِ ابنِ دِينَار عَن أبي غَالِبٍ هَذَا اسْمُهُ حَزَوَّرٌ الْقُرَشِيُّ بَصْرِيٌّ يُقَالُ لَهُ: مَوْلَى بَاهِلَةَ، عَنْ أَبِي أُمامة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إلا أُوتُوا الْجَدَلَ ثمَّ تلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨]، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ[(١)].

الشَّرْح

ختم المؤلف ﷺ هذه الرسالة بالرد على مستحل الكلام المجادلين في الله ﷻ، وذكر حديث أبي أمامة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إلا أُوتُوا الْجَدَلَ ثمَّ تلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ** ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨]» هذا الحديث؛ من طريق حجاج بن دينار عن ابن غالب عن أبي أمامة ﷺ، قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، ومن سورة الزخرف، رقم (٣٢٥٣)، وابن ماجه، المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، رقم (٤٨)، وصححه الحاكم (٣٦٧٤)، ووافقه الذهبي.

حسن صحيح، إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار، وحجاج ثقة مقارب الحديث، وأبو غالب اسمه: حزَّور»[١]، والأقرب والله أعلم أن الحديث حسن ليس ضعيفًا، والمعنى صحيح أيضًا، وله شواهد، فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ** ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨]»، والحديث فيه: التحذير من الجدل فيه، والجدال، والمراد بالجدال: الجدال المذموم، **والجدال نوعان:**

النوع الأول: **الجدال المحمود**، وهو الجدال لإيضاح الحق ورد الباطل، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦].

النوع الثاني: **الجدال المذموم**، وهو الجدال لرد الحق، أو لإظهار الباطل، أو الجدال الذي تماري فيه صاحبك حتى تغضبه، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧]، المراد: الجدال المذموم.

فهذا هو الجدال المذموم الذي يجادل لرد الحق، وإظهار الباطل، أما الجدال لإظهار الحق ورد الباطل، فهذا مطلوب، وثبت في الحديث الصحيح أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَقَالَ أَلا تُصَلِّيَانِ فَقُلْتُ يَا

(١) «بيان الوهم والإيهام»، لابن القطان (٥/ ٦٥٤).

رَسُولَ اللهِ أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا (قُلْتُ) ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ثُمَّ سَمِعْتُهُ وهو مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وهو يَقُولُ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤][١]، وكأن النبي ﷺ لم يعجبه رد علي ﷺ - وهو صحابي جليل لكنه ﷺ رد بهذا الرد، وكان من الأولى أن يقول: نسأل الله أن يوفقنا، ونبذل الجهد، والوسع، وهو ﷺ من أهل الجنة المشهود لهم بها -.

فالجدال جدالان:

الجدال المحمود: هو الجدال لإيضاح الحق ورد الباطل.

فالجدال الذي يجادل فيه لرد الحق، وإظهار الباطل **جدال مذموم**، وكذلك الجدال الذي تجادل فيه صاحبك حتى تغضبه، فهذا لا فائدة فيه، وهو المراء، قال النبي ﷺ: «**أنا زعيم لبيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً**»[٢].

فقول المؤلف ﷺ «**بَاب الرَّد على مستحل الْكَلام الْمُجَادِلِينَ فِي اللهِ ﷻ**» هذا الجدال المذموم؛ لأنه: قال: «**الْمُجَادِلِينَ فِي اللهِ** ﷻ» وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥].

فهذا فيه ذم للمجادلين، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ السلطان هو الدليل، والحجة فيجادل بغير دليل، وهذا هو الجدال المذموم، أما الذي عنده دليل ويجادل لإظهار الحق ورد الباطل، فهذا ليس

(١) أخرجه البخاري، أبواب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل، رقم (١١٢٧)، و مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٥).
(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم (٤٨٠٠).

بمذموم، فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أراد الرد على مستحل الجدال بالباطل.

قال: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ»، فيه: دليل على أن الذين يضلون بعد هداية الله لهم يؤتون الجدل عقوبة من الله لهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥] قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠]، فهذه عقوبة من الله لمن يجادل من ضل بعد هدى، فإذا أتاه الحق وعدل عنه يعاقب إذا كان الحق واضحًا ثم رده، فيعاقب بزيغ القلب بتقليبه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾ ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨].

فهذا ذم للجدال، والمراد بالجدال، الجدال مذموم.

مناسبة هذا الباب لهذا الكتاب أن أهل البدع يجادلون في الأدلة التي تدل على إثبات صفات الله ﷻ، فالذين يجادلون من أهل البدع، كالمعتزلة، والأشاعرة، والجهمية، وغيرهم يجادلون بالباطل، فيجادلون أهل الحق، وينكرون صفات الله ﷻ، ويؤولون الاستواء بالإستيلاء، ويجادلون بالباطل، ويردون النصوص، والآيات، ويتأولونها على غير تأويلها بالباطل، فهذا من الجدال بالباطل.

فالواجب على المسلم أن يقبل الحق، وألا يجادل في الباطل، وأن يثبت الأسماء، والصفات لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وألا يسلك ما سلكه أهل البدع من تأويل النصوص، فالأشاعرة يقولون الإستواء ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف ٥٤] معناه: الاستيلاء، فهذا

من الجدال بالباطل، وتأويل النزول بأنه ينزل أمره، أو تنزل رحمته، أو ينزل ملك، فهذا من الجدال بالباطل، والعلو قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل ٥٠] قالوا: هذا علو القدر، وعلو القهر، أما علو الذات، فالله ليس له علو الذات، وهذا من الجدال بالباطل.

فختم المؤلف ﷺ هذه الرسالة بالرد على مستحل الكلام المجادلين بالباطل، وذكر هذا الحديث وهو حديث لا بأس به «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ**» وهذا الحديث فيه: التحذير من الجدال بالباطل، وتحذير لأهل الحق من أن يسلكوا مسلك أهل البدع، فيجادلوا بالباطل، ويأولوا صفات الله كما أولها أهل البدع، فعلى المسلم أن يقبل الحق، وأن يثبت الأسماء لله وصفاته، وألا يجادلوا بالباطل، وألا يسلك مسلك الذين ذمهم الله، فتجادلوا بالباطل ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨].





الخاتمة

فهذا الكتاب بين فيه المؤلف ﷺ مثيرا من الصفات التي وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، كما يليق بجلال الله وعظمته.

وعليه بعض الملحوظات التي سبق التنبيه عليها، وهو كتاب مفيد في الجملة؛ لأنه بحث في الأصل الأول من أصول الإيمان، الذي هو أصل الأصول، الذي هو الإيمان بالله، لأن الإيمان بالله ﷻ إيمان بوجوده سبحانه وإيمان بربوبيته، وإيمان بألوهيته، وإيمان بأسمائه وصفاته، وأنه يجب على العبد عبادته وإخلاص الدين له وحده، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والإيمان بخاتمهم محمد ﷺ، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، والحذر مما يَنقض الإيمان، أو يُنقصه أو يُضعفه، وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا غيره، وهو الذي أمر الله الأنبياء أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه.

فنسأل الله أن يرزقنا الإيمان الصادق، واليقين التام، والإخلاص في العمل، والمتابعة نبينا محمد ﷺ، ونسأله أن يتوب علينا ويغفر لنا، وأن يجزي العلماء خيرًا على ما بينوا للناس ما أنزله الله في كتابه، ونبيه محمد ﷺ، وأن يجزي المؤلف ﷺ خيرًا على ما بينه في هذا الكتاب وغيره، ونسأله سبحانه أن يرزقنا سلوك صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، إنه هو الوهاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة

التنفيذ الطباعي
مركز ابن تيمية للنشر والتوزيع
الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف الإدارة: ٠٥٠٢٩١٥٠٠٠ - المبيعات: ٠٥٤٧٠٢٩٠٠٠
البريد الالكتروني: m.ibn.teemeah@gmail.com



مركز الراجحي للدراسات و الإستشارات